المشرق

هياكل مصر القديمة

من خطبة للاب الكبيس مالون اليسوعي مدرّس اللغة القبطية في مكتبنا الشرقيّ

انَّ بين الآثار القديمة التى أورثت مصرَ فخرًا وشهرة هياكلها العظيمة التي صبرت على آفات الدهر ونالت المقام الاوَّل بين بقايا الاعصار الغابرة من حيث عددها وقدم تاريخها وحكم بنائها. ومن هذه الابنية ما يرتقي عهدهُ الى مَهْد الازمنة التاريخيَّة ومنها ما شُيِد في ايَّام البطالسة او هو احدث عهدًا لا يتجاوز طور الدولة الرومانية. الَّا انَّ اكثرها قد بُني في ايَّام كبار الفراعنة كرعمسيس وتحوتمس

امَّا من حيث موقعها الجغرافيّ فانَّ هذه الهياكل لا تُرى اليوم الَّا ما وراء القاهرة اعني في بلاد الصعيد. وهي كثيرة في الاقصر وثيبة القديمة ذات المئة باب التي وصفها الشاعر اوميروس. على انَّ خلوَّ مصر السُّفلى من هذه الآثار ليس بدليل على أنها كانت خلوًا منها سابقًا. والاحرى ان يقال ان كل مدينة من حواضر وادي النيل كانت مزدانة بهيكل. واصاب بعض هذه الهياكل سمعةٌ بعيدة كهيكل الإلهة نَيط في صا، الذي قضى هيرودُوت المؤرخ منهُ العجب. واشهر منهُ هيكل عين شمس المعروفة في الكتاب الكريم باسم اون وفي القبطيَّة ⲱⲛ (راجع سفر التكوين ٤١: ٤٤) حيث كانت مدرسةٌ لكهنة المصريين وفيها نشأ موسى الكليم على آداب مصر. ولمَّا جعل فرعون يوسفَ الحسن كوزيرهِ والثاني من بعدهِ في الملك اعطاهُ ابنة عظيم

كهنة عين شمس المذكورة. واليوم لم يبقَ من هـذه المدينة ومن هيكلها الّا اطلال وردوم تنتصب في وسطها مسلّةٌ شهيرة تشهد على عظمتها السابقة. ولنا في كتاب عبد اللطيف المعنون بالافادة والاعتبار في الامور المشاهدة في مصر ما يبيّن صريحًا انّ آثار عين شمس لم تدرس بعدُ في زمانه قال:

« ومن ذلك الآثار التي بعين شمس وهي مدينة صغيرة يُشاهد سورها محدقًا بها مهدومًا ويظهر من امرها انّها كانت بيت عبادة. وفيها من الاصنام الهائلة المعظيمة الشكل من نحيت الحجارة يكون طول الصنم زهاء ثلثين ذراعًا واعضاؤه على تلك النسبة من العظم وقد كان بعض هـذه الاصنام قائمًا على قواعد وبعضها قاعدًا بنُصُبات عجيبة واتقانات محكمة وباب المدينة موجود الى اليوم. وعلى معظم تلك الحجارة تصاوير الانسان وغيره من الحيوان وكتابات كثيرة بالقلم المجهول وقلّما ترى حجرًا غفلًا من كتابة او نقش او صورة. وفي هذه المدينة المسلّتان المشهورتان وتسمّيان مسلّتَي فرعون . . . وقد رأيتُ احدى المسلّتين وقد خرّت وانصدعت من نصفها لعظم الثقل . . . »

وكلّ ما وصفهُ عبد اللطيف قد دخل في خبر كان الاّ المسلّة التي ذكرناها وكذا قلْ عن هياكل وادي النيل التي كان يعرفها العرب بالبرابي. وسبب فقدانها قرب موقعها من النيل فانّ فيضان مياهه لم يزل يعمل في اساسها حتّى سقطت وتفتّتت على كرّ الدهور

امّا برابي الصعيد فانها قد أُقيمت على آكام صخريّة لا يبلغ اليها النهر وقت فيضانه واياها نريد هنا . فنصفها وصفًا موجزًا متّبعين في ذلك سياقها التاريخي

١ هياكل الدول المصريّة الاولى (من ٤٠٠٠ الى ٢٢٠٠ ق م)

بقي لنا من ذاك العهد العهيد مثال جميل في الهيكل الصوّاني المشيَّد في جوار اهرام الجيزة. وهو من اقدم آثار مصر اكتشفهُ لاوّل مرّة العلاّمة الاثري ماريت باشا سنة ١٨٥٣ واستخرجهُ من تحت الرمال التي كانت تسجيه. ولا تزال حتى اليوم جوانبهُ الخارجيّة غائصةً تحت الردوم ولم ينظَّف منهُ الّا داخلهُ . وهو عبارة عن ردهة كبرى ذات ثلاثة اسواق يفصلها صفّان من السواري المربّعة الزوايا . وامام الردهة المذكورة ردهة أُخرى اوسع منها واقصر تقسم قسمين بينهما صفّ من ستّ سواري وهذا البناء يأخذ بالابصار لعظم سواريه وكلُّ ساريّة من حجر واحـد وعلوُّها

خمسة امتار. وليس ثمّة لا كتابات ولا نقوش ولا تصاوير وانّما اراد البناة ان يظهروا فقط عظمة الاعمال البشريّة في الهندسة

وفي صحن الهيكل بئر عميق وُجدت فيه عدّة تماثيل للفرعون خفرن صاحب الهرم الثاني

امّا الاله الذي على اسمه كان هذا الهيكل فالمرجّح انهُ السفنكس (Sphinx) المعروف في مصر بابي الهول. والدليل على ذلك انّ تمثال ابي الهول ينتصب ليس بعيداً من هناك. وهو عبارة عن اسد عظيم ينتهي برأسٍ بشريّ قد نُحت في الصخر الاصمّ. وطالما تكوّمت فوقهُ الرمال حتى لم يبرز منهُ الّا رأسهُ. وهكذا وجدهُ عبد اللطيف قال:

« وعند هذه الاهرام باكثر من غلوة صورة رأس وعنق بارزة من الارض في غاية العظم يسمّيه الناس ابا الهول ويزعمون انّ جثّتهُ بالنسبة الى رأسهِ سبعين ذراعاً فصاعداً. . . »

والصحيح انّ جثّة ابي الهول على صورة أسد رابض طولهُ ٦٣ متراً امّا علوّهُ فيبلغ ١٩ م و ٨٠ س. وكان على عهد عبد اللطيف « حسن الصورة مقبولها عليه مسحةُ بهاء وجمال » وهو اليوم مشوَّه قد افسد صورتهُ المماليك وكانوا اتّخذوا أنفهُ كهدفٍ لسهامهم

ومن هياكل الدول المصريّة الاولى هياكل منف الشهيرة التي أطنب في وصفها الرحّالون واسترسل في ذكرها عبد اللطيف البغداديّ. الّا انهُ لم يبقَ من كلّ تلك الاثار سوى صنمين عظيمين لرعمسيس الثاني مضطجعين على الحضيض وبقربهما قطع كبيرة من الحجر الصوّاني تعلو فوقها كلّ سنة مياهُ النيل في عهد فيضه. واذا جزرت المياه رأيت هناك بقايا هيكل قديم وصفهُ عبد اللطيف فيما وصف. وهو البناء الذي درسهُ العلامة ج. دارسي (G. Daressy) درساً مدقّقاً واثبت نتائج ابحاثه في نشرة العاديّات المصريّة منذ سنتين. وكان هيكلاً مربّعاً مستطيلاً امامهُ مدخلٌ فخيم يعلوهُ برج مربّع. وفيه الردهات الواسعة المزيّنة بالسواري والعَمَد ذات حجر واحد جافٍ. امّا رسم البناء فلم يُعرَف منهُ الّا قسمٌ فقط

٣ً هياكل المملكة المصرية المتجددة ودولة البطالسة (١٦٠٠ ق م)

انّ هياكل المملكة المصريّة المعروفة بالوسطى (Moyen Empire) من السنة

٢٢٠٠ ق٠م الى ١٦٠٠ قد طُمست ودثرت فلم يبق منها غير خربها٠ فاما ما كان منها في وادي النيل فقد غمرته مياه النهر ٠ واما هياكل الصعيد فانها هُدمت ليُقام مكانها غيرها

فلنذكرنَّ اذن الهياكل التي بنيت في ايام المملكة المستجدَّة اعني منذ السلالة الثامنة عشرة التي سبقت المسيح بستة عشر جيلاً الى عهد الدولة الرومانيَّة ٠ وهذه الهياكل كلها في الصعيد العليا واقربها الى القاهرة هيكل ابيدوس بازاء بليانة على ٥٥٥ كيلومترًا من القاهرة ٠ ولبعد هذه الآثار لم يزرها عبد اللطيف وانما ذكرها فقط بالاجمال

« واما البرابي بالصعيد فالحكايات عن عظمها واتقان صنعتها واحكام صورها وعجائب ما فيها من الاشكال والنقوش والتصاوير والخطوط مع احكام البناء وجفاء الآلات والاحجار مما يفوت الحصر وهي من الشهرة بحيث تُغني عن الاطالة في الصفة »

وقد مرَّ انَّ البرابي هي هياكل القديمة واحدها بربه وهي مشتقَّة من اللفظة القبطيَّة ⲡⲣⲡⲉ (Perpe) ومعناها المعبد واهل الصعيد لا يزالون حتَّى الآن يستعملون هذه الكلمة وانما يريدون بها الامكنة الشهيرة بآثارها القديمة

وهياكل هذا العهد مع امتداد فسحته كانها على شكلين شكل عرضيّ وهو الهيكل المستدير الرواق (temple périptère) وشكل اصلي وهو الهيكل ذات المدخل الفخيم المبرَّج (temple avec pylône)

١ (الهياكل المستديرة الاروقة) هذه الهياكل على شكل مربع مستطيل حولها اروقة فسيحة تتركَّب زواياها من اربع سواري اما جوانبها فتستند الى عمد ٠ وما بين الاعمدة من الفضاء قد بُنيت فيه جدران للدلالة على حرم الهيكل ٠ وفي جانبي الهيكل الصغيرين بابان يُدخل منهما الى المقدس حيث يعتقدون انَّ الاله جعل مسكنهُ في سفينته المقدَّسة

والسلالة الثامنة عشرة اوَّل من باشر ببناء الهياكل على هذه الهيئة ٠ الَّا انَّ هذه الهندسة لم تشع شيوعًا كبيرًا وقد فضلها الملوك البطالسة ٠ والهياكل التي على هذه الصورة تُعرف بهياكل الميلاد ٠ وكانوا يجعلونها في الغالب قريبًا من الهيكل الكبير كما ترى في دندرة وكوم امبو وفي جزيرة فيلة وكانت مخصَّصة باله ثانوي هو عادةً ابن الاله المعبود في الهيكل الكبير ٠ وفي جزيرة فيلة هيكل من هذا الصنف بُني على عهد الرومان ويُعدُّ من ابدع حليّ هذه الجزيرة ٠ على انَّ هذا الأثر الجميل معرَّض للخراب

منذ بناء خزّان اسوان لانّ مياه الفيضان صارت تغمر كل الجزيرة وهي عمّا قليل تدكّ اركان هذا الهيكل فتخربهُ بلا ريب

٢ (الهياكل ذات المدخل المبرَّج) هذه الهياكل ذات الشكل الاصليّ وعددها وافرٌ. فرغبةً في الايضاح نميّز فيها اقسامها الجوهريّة واقسامها الثانويّة

فاقسامها الجوهريّة ثلاثة: مدخلها مع ساحته ثم الردهة الكبرى ذات العواميد واخيرًا المقدس. وذلك على شبه بعض بيوت بلاد الشام فانّ فيها ايضًا مدخلًا تليه جنينة او دار ثم بيتًا وفيه الديوان ثم المقاصير الخاصة في اقصى الديوان على جانبيه

فلندخلنَّ احد هذه البرابي القديمة لنرى فيها هذه الابنية الثلاثة:

(المدخل) انَّ لمداخل الهياكل المصريّة طريقًا تؤدّي اليها وتدلّ عليها. وهذه الطريق كانت تُفرش بالبلاط ويزان جانباها بتماثيل ابي الهول او الكبوش. وربّما كانت هذه الطريق تمتدّ على مسافة بعيدة. فانّ طريق هيكل كرنك من الاقصر تبلغ كيلومترين وكان عدد تماثيل ابي الهول التي تزينها نحو الالف

واذا سرت في هذه الطريق الملكيّة انتهت بك الى مدخل الهيكل وكان المهندسون يفرغون في بنائهِ ما لديهم من البراعة والتفنّن وبهِ امتازت الهندسة المصريّة. وهذا المدخل يتركّب من رتاج عظيم مربع الشكل مستطيلة على جانبيه بناءان مُصمتان يرتفعان كبرجين وهما يماوان مطلقًا بقيّة الابنية. ومدخل كرنك قياس علوّهِ ٤٤ مترًا وطولهُ ١١٣ م في سمك ١٥ م. وكانوا يرسمون على واجهة المدخل الكتابات والنقوش يتضمّنونها محامد الفرعون الذي سعى ببناء الهيكل كمشروعاتهِ وغزواتهِ ويقيمون امام المدخل تمثالين عظيمين يمثّلان الملك مع مسلّتين لكلّ جانب مسلّة وكلتاهما من حجر واحد

فاذا تجاوزنا هذا المدخل الفخيم صرنا الى ساحة رحبة الارجاء مفتوحة فيها الاروقة ذات صفّ او صفين من الاعمدة. وهو المكان الذي فيهِ كان يزدحم الجمهور في اوقات المناسك الدينيّة الحافلة

(ردهة العواميد) اذا تخطّيتَ الدار ونفذت من باب آخر وصلتَ الى ردهة واسعة تُعرف بردهة العواميد (salle hypostyle) لكثرة ما يُرى فيها من العَمَد. وهي تقسم الى اسواق متعدّدة اعلاها واوسعها السوقُ الوسطى تسندها العواميد المتوّجة

برؤوس أكلّة على هيئة الاجراس. امّا الاسواق التي على الجانبين فانّ لرؤوس عواميدها نقوشاً مكبّسة كأنّها اكمام الزهور

(المقدس) وما وراء هذه الردهة المقدس فيه معبد او معابد على حسب عدد المعبودات. وكلّ معبود مصوّر بصورة محسوسة يُرى في سفينة مقدّسة او في قبّة. وهذا المكان لا يدخلهُ سوى كبار رؤساء الكهنة والفراعنة في بعض الاعياد الحافلة

تلك هي الاقسام الجوهريّة في الهياكل المصريّة. امّا الابنية الثانويّة فكانت تختلف على اختلاف الظروف والاحوال منها حُجَر عديدة ومواقف تُودع فيها آلات العبادة

وهذا الرسم كما ترى بسيطٌ الّا انّ اكثر الهياكل المصريّة قد زاد فيها الفراعنة ابنيةً الحقوها بالهيكل الاصليّ حتى فقدت سذاجتها الاوّلية. وكان كلّ فرعون اذا تسنّم كرسيّ الملك يريد ان يزيد على بناء سلفهِ فهذا يضيف اليه داراً ثانيةً وذاك ردهة أخرى بعواميدها ومنهم من كان يوسّع المقدس ويزيد في طولهِ. مثالهُ هيكل ابيدوس الذي ابتناهُ ساتي الاوّل فترى فيهِ دارين وردهتين باعمدتهما واربعة مداخل وكان يُعبد فيهِ سبعة معبودات لكلّ معبود مقدسهُ. وهو اليوم خراب لم يبقَ منهُ الّا بعض اقسامهِ فيها من التصاوير العجيبة ما يأخذ بمجامع قلوب الزوّار

واجمل ما بقي من الهياكل القديمة في مصر هيكل دندره تجاه قنه. كانت تُعبد فيهِ الإلهة هاتور. وفي سقف احدى حُجَرهِ كانت منقوشة منطقة البروج الشهيرة وهي الصورة الوحيدة التي ابقاها لنا المصريّون من رسم السماء مستديرةً. وهذه المنطقة قد نُقلت من مكانها وهي اليوم في جملة متاحف مكتبة باريس العمومية

وان انتقلنا من دندره الى ثيبة وجدنا فيها برابي عظيمة بعضها على ضفّة النيل الشرقيّة وبعضها على ضفّتهِ الغربيّة. امّا هياكل الضفّة الشرقية فهي في الاقصر وكرنك

وكان هيكل الأقصر مخصوصاً بعبادة الاله امون والالهة مَوت وابنهما خنسو وشُيّد على ايّام السلالة الثالثة عشرة ثمّ زاد الملوك التابعون في تحسينهِ وكان يُدخل اليهِ باربعة مداخل فخيمة ولهُ داران وكان طولهُ ١٩٠ متراً ومعظم عرضهِ ٥٥ م ومدخلهُ الاوّل من بناء رعمسيس الثاني عليه كتابات هيروغليفيّة عظيمة الشأن قد وصف فيها الفرعون حروبهُ في جهات سوريّة وانتصاراتهِ على الحثّيين. وتصاوير هذا الاثر كلّها جليلة

رُسمت فيها كلّ احوال الحياة الجندية من ضَرْب الخيام في المعسكرات والهجوم على العدوّ وقتال الجيوش وكسرة العدوّ على طرز يخلب الالباب. واشهر ما فيها وصفٌ شعريٌ لموقعة قدس قريباً من حمص حيث تبدَّد شمل الحثيين وفُتحت حاضرتهم. وهذه القطعة تُعرف عند الاثريين المصريين بقصيدة بَنْتاوُر

امَّا كرنك فكلّها هياكل بحيث يصحّ فيها اسمها «مدينة الهياكل» وحتَّى يومنا هذا اذا عددتَ هياكلها الكبيرة والصغيرة وجدتها لا تقلّ عن الخمسة عشر لكنَّ اعظمها خطرًا انَّما هو هيكلها العظيم المنسوب الى الاله أمون. وكان الذين باشروا في بنائهِ فراعنة السلالة الثانية عشرة ثمَّ عني خلفاؤهم بتعظيمهِ وزينتهِ الى اواخر عهد البطالسة حتَّى انَّ مداخلهُ الجبَّاريَّة بلغت عشرة عدًّا وكانت تشمل على الباحات الفسيحة والمخادع البهيَّة. امَّا طرفة هذا الهيكل بل تحفة كلّ الآثار المصريَّة انَّما هي ردهتهُ العموديَّة الكبرى التي كان طولها ١٠٢ م في عرض ٥١ م اعني نيفًا و ٥٠٠٠ متر مربَّع. وكان عدد عواميدها ١٣٤ وكلّها عظيمة الشكل عاتية تسند سقفًا علوهُ الاعلى ٢٣ مترًا. واكبر هذه العمد قطرها ٣ امتار و ٥٧ س امَّا دائرتها فازيد من عشرة امتار. قال بعض علماء العاديَّات المصريَّة: «لو اردنا وصف هذا المقام الجليل لقلنا انَّهُ منتدى آلهة او جبابرة ليس ناديًا لبشر صغار مثلنا». وهذه الردهة باقية حتَّى يومنا هذا الآ انَّ صروف الدهر قد عملت فيها وقد سقط منها عدَّة اعمدة بعد ان تغذت في اساسها مياه النيل واثَّر فيها النطرون. وفي سنة ١٨٩٩ في ٣ تشرين الاوَّل سقط احد عشر عمودًا منها فتزعزعت سائر العواميد بسقوطها. الآ انَّ همَّة المسيو لغران (M. Legrain) ناظر العاديَّات في كرنك تلافت هذا الضرر واصلحت ما خرب من الاعمدة

وفي الضفَّة الغربيَّة هياكل اخرى عجيبة اخصُّها اربعة: اوَّلها هيكل ساتي الاوَّل في قُرنه قد استولى الخراب على قسم منهُ. والثاني هيكل دير البحري تراهُ فوق ربوة من الصخور على ثلاث طبقات يعلو احدها الآخر. ومقدس هذا الهيكل منحوت كلّهُ في الصخر. والثالث هيكل رعمسيس الثاني (Ramesseum) كُرّر على جدرانهِ وصف موقعة قدس كما في مدخل الاقصر. امَّا الرابع والاخير فهو هيكل مدينة هبو الذي شيَّده رعمسيس الثالث وهو ذو مدخلين ودارين

واذا سرتَ بين ثبة واسوان وجدت في سياك برابي منها هيكل اسنه حيث ترى آخر كتابة كُتبت بالحرف الهيروغليفي وذلك على عهد دقيوس قيصر سنة ٢٥٠ ميلاديّة وفيها اسمهُ ـ ثمّ هيكل الكعب امينوفيس الثالث ـ ثمّ هيكل ادفو كان المصريون يعبدون فيه الاله هورس وهو مع طول عهده منذ ٢٠٠٠ سنة لا يزال مصونًا برونقه وحسنه ـ ومنها اخيرًا هيكل كوم امبو للاهين سوبك وهرويري كان المصريون يؤدّون لهما فرائض السجود والعبادة على سواء ولكلٍّ منهما معبدهُ الخاصّ ـ وممّا خُصَّ به هذا الهيكل دون بقيّة الهياكل المصريّة انهُ يُرى مقسومًا على كلّ طوله الى قسمين ولكلّ قسم بابهُ الخاص به

وان سرت الى ما وراء اسوان انتهى بك السير الى درّة مصر المكنونة ألا وهي فيلة التي يدعوها الاهلون جزيرة البربه وكانت الالهة ايزيس معبودة اهل تلك الجزيرة شاعت عبادتها بينهم منذ القرون الغابرة ولم يزالوا عليها الى الجيل السادس بعد المسيح ـ وحينئذٍ امكن يستنيانوس الملك (٥٢٧ الى ٥٦٥ م) لاوّل مرّة ان يُقفل هذا الهيكل ويدخل النصرانيّة في الجزيرة ـ وكان هيكلها رواق كبير فحُوّل الى كنيسة

وفي جزيرة فيلة هياكل أُخرى معدّدة كلها راقية الى ملك البطالسة واعظمها شأنًا مخصّص بالالهة ايزيس

واعلم انّ جزيرة فيلة كانت تُعدّ غالبًا كحدّ مصر الجنوبي وعلى ذلك يدلّ اسمها القبطي ⲡⲓⲗⲁⲕϩ اي الزاوية ـ الأ انّ فراعنة مصر الكبار كتحوتمس ورعمسيس لم يرضوا بهذا الحدّ فتجاوزوه مرارًا وفتحوا البلاد التي ما وراءه الى بلاد النوبة العليا ـ والدليل على ذلك البرابي التي تُرى متواصلة من اسوان الى وادي حلفه ـ لكنّهُ قُضي على المهندسين ان يغيّروا رسومهم ويبنوا الهياكل في الصخور الصلبة التي تجاور هناك النهر فكانوا ينحتونها كلّها او قسمًا منها في الصخر الاصمّ

فمن ذلك جُرف حُسين فيه هيكل قديم بُني مدخلهُ وداره في الخارج امّا ردهاتهُ العموديّة ومقدسهُ ففي نحيت الصخر ـ وفي ابي سنبله هيكل كلّهُ كهفٌ منحوت في الصخر حتّى مدخلهُ والتماثيل التي في مقدّمة المدخل وهي اربعة غاية في العظم والحسن وجميعها يمثل رعمسيس الثاني جالسًا وهو يتّكئ على الصخر وعلوّ التمثال عشرون مترًا وعلى جنبي الشخص وبين اذياله تصاوير عديدة تمثل اهل بيته ـ وفوق هذه التماثيل قد رُسمت في

القرون التالية كتابات يونانية وكاريّة وفينيقية كتبها اهل الغزوات الذين بلغوا ذلك المكان فارادوا ان يخلّدوا ذكرهم بكتابتها وهي لذلك خطيرة اثيرة مفيدة لدرس اللغة والتاريخ معاً

هذا نظر اجمالي في هياكل مصر القديمة اثبتناهُ هنا ليكون لقرّائنا بعض الالمام في آثار تلك البلاد الشهيرة وليست غايتنا من كتابته استيفاء الوصف . وما لا يسعنا الضرب عنهُ الشكر لاصحاب الامر الذين يسعون سعياً عظيماً في صيانة هذه الآثار النفيسة التي تنطق بلسان حالها عن ترقّي تلك الامم الغابرة في سلّم الحضارة والتمدّن فضلاً عمّا تنبئ بهِ من شواعرهم الدينية . نعم انّ هذا الدين كان ناقصاً كثير الخلل ممزوجاً بالخرافات الوثنية الأ انّهُ مع خللهِ يظهر باجلى بيان انّ الديانة عند الشعوب وسندها . ويفنّد قول بعض المتشدّقين من الملحدين بان التمدّن والحضارة اذا زاد نورهما بنفيان الدين وبطلان ملكهِ . والعوذ بالله من الكفر وآله

دواء قديم او الحامض النمليّ

للدكتور ب . كُيك مدرّس الصيدلة في المكتب الطبيّ الفرنسويّ

خصَّ الاطبّاء الاقدمون بسجيّة طيّبة وهي طول أناتهم وتأنيهم في البحث عن الادوية الشافية قبل استعمالها وما ذلك الأ لأنّهم كانوا خالين البال لم تزاحمهم الاشغال كأطبّاء زماننا . فمن اعظم البلايا انّ الطبيب اليوم لكثرة الاختراعات الجديدة ووفرة الادوية المستحدثة وتعدّد المجلّات الطبيّة التي تُطري كلّ اصناف المالحات والعقاقير والاستحضارات الكيموية لا يعود يعرف ايًّا منها يختار وايًّا ينبذ وربّما خُدع بالاعلانات المطنطنة والادوية الغربية المثال فيصفها لمريضه راجياً علاجهُ لكنهُ لا يلبث ان يرى قلّة فائدة الدواء الممدوح ويخيب فيهِ أملهُ فيتركهُ ويطلب دواء أجدَّ منهُ وأنجع . وهكذا بالتوالي دون ان يقرَّ على رأي ثابت . فياليت شعري كم من دواء ينشأ كلّ يوم فتكسد سوقهُ بعد ان اطنب مخترعوهُ في مدحهِ ترويجاً لبضاعتهم . ومن الاضرار الناتجة عن هذه الجلبة والمبالغة في الاطراء انَّ عدّة ادوية قديمة العهد حسنة الفعل تُنبذ ظهريًّا وتسقط في عالم النسيان مع ما ادّتهُ للانسانية من الخدم المشكورة

ولو انتقدنا الامر وسبرناهُ بعيار العقل الصائب لوجدنا انَّ اجدادنا رُبَّما اصابوا في طلب ادويتهم واتّخاذ مراهمهم. والدليل على قولنا انَّ بعض نُطس الأساة في عهدنا يعودون اليها ويرون فيها الشفاء. مثال ذلك دسم الصوف المعروف بالزوفى الرطب (suint) الذي أكثرَ القدماء من استعماله فهو اليوم يُعتبر كأفضل محلّل للمدهونات. لكنَّ الحدثين ابدلوا اسمهُ القديم اوسيپوم (œsypum) باسم جديد فدعوهُ لانولين (lanoline). وكذلك اعضاء الحيوانات فانَّ القدماء عالجوا بها عدّة امراض تعرض للبشر ثمَّ أُهملت هذه المداواة الى أنْ قامت حديثاً فئة من الاطبَّاء وبيّنوا ما في ذلك من الفوائد وانَّما جدَّدوا الاسم فدعوا هذه الطريقة العلاجية اوپوتراپيا (opothérapie, organothérapie). وان شئت مثلاً حديثاً لاثبات قولنا هاك الزُّعرور (crataegus) فانَّ اطبَّاء العرب بعد ديوسقريدس وجالينوس اتَّخذوه كدواء. قال فيه الرازي: انَّهُ يلطّف الصفراء ويسكّن الدم. واليوم قد قرَّر احد ائمّة الاطبَّاء الفرنسيين الدكتور هوشار (Huchard) انَّ الزعرور يقوّي القلب وينظّم حركاته نعم انَّهُ لا يقوم مقام الديجيتال (digitale) او زهر الكشاتبين وانَّما يصون فعل هذا الدواء ويثبّتهُ (١). ومثلهُ نبات الامسوخ (prêle, equisetum) الذي وصفهُ جالينوس واستعملهُ اطبَّاء العرب. قال الغافقي في القرن الثاني عشر: انَّهُ ينفع اذا طُبخ لعسر البول واذا جُفّف افاد لذبلاد القروح. والدكتور هوشار بعد الاختبارات رجّح نفعهُ لقطع الدم وقرَّر فائدتهُ لإدرار البول (٢). فهذه الامتحانات بيَّنت علانيةً خطأ الذين كانوا ينبذون ادوية القدماء ظهريًّا وصار الحدثون يعودون الى استحضارات الزعرور والامسوخ

الأ ان كثيرين من اهل زماننا يقاومون هذه الادوية القديمة ولا يريدون الاقرار بفضلها لا سيَّما اذا كان في استحضارها بعض الغرابة بل رُبَّما سخروا من الذين يسعون بترويجها كما فعلوا بالطبيب الشهير برون سيكار (Brown-Séquard) لمَّا حاول اتّخاذ اعضاء الحيوانات في معالجاته

ومن هذه الادوية العتيقة التي عادت الى النور بعد خفائها الحامض النملي (l'acide formique) وهو دواء يُعنى ببيان منافعه طبيبان فرنسيَّان وهما الدكتوران

(١ Journal des Practiciens, 1903, p. 9

(٢ Ibid. 1902, p. 825

كليمان (E. Clément) وكاريك (L. Garrigue) وقد كثر في هذا العلاج القال والقيل مذ خصص العلّامة دي بارفيل (H. de Parville) مقالتين علميتين ابرزهما في النشرة السياسية والادبية وفي جريدة المناظرات وكنّا نحن ايضاً كتبنا في ذلك شيئاً. ومما اطّلعنا عليه آخراً نبذةٌ بامضاء الدكتور د. ج. (Dr D. G.) نشرها في جريدة استنبول (٢ نيسان ١٩٠٤) وصاحبها يذكر هذا الدواء الجديد بين جدّ ومزح ويشير متهكماً الى ما كتبناه. ولا بأس من تهكّمه اذا نتج من كلامنا بعض الافادة ولذلك رأينا ان نعود الى هذا البحث في المشرق

اعلم انّ للنمل لا سيّما الشقراء منها (formica rufa) والحمراء ايضاً صغيرة كانت (Myrmica lœvinodis) او كبيرة (M. rubida) مادّة حرّيفة ذات رائحة قارصة يدعونها الحامض النملي. وهي موجودة ايضاً في فصيلة الدود المعروف بالتلاحق (cnethocampa processionea) وفي عرق الانسان وفي زئبر نبات القرّاص (urtica urens et urtica dioica) ومن ثمّ ليس احد من قرّائنا الأ يعرف هذا الحامض من بعض مفعولاته ولو مرغوماً

وهذا الحامض كان يستخرج في هيئة سيّال غير مصفًّى من النمل الاحمر. فكانوا يستقطرونها بالماء او بالكحول او يسحقونها في الزيت. وكان احد هذه المحلّلات كثير الشهرة في القرن السابع عشر عُرف باسم ماء المروّة (eau de Magnanimité) تجد وصفتهُ في كنّاش لامري (Pharmacopée universelle de Lémery) وفي كناش موسى شاراس (Pharmacopée royale galénique et chimique de Moyse Charas) واوّل من امكنهُ استخلاص هذا الحامض النمليّ صافياً الطبيب فيشر (Fisher) سنة ١٦٦٩ ودقّق البحث فيه الشهير برزاليوس (Berzélius)

وكانت الادوية التي يدخل في تركيبها الحامض النملي تتّخذ خصوصاً لمعالجة الضعف وانعاش القوى او كما قال موسى شارلس «لايقاظ الحرارة الطبيعية وتقويتها». وقد عرف اطبّاء العرب خواصّ النمل الطبّية فكانوا يتّخذون زيت النمل فيدهنون به البُرص ويقوّون أعصاب الضعفاء المزاج. وكانت العامّة تسحقهُ بالماء وتطلي بهِ الجسم لمنع إنبات الشعر كما ورد في مفردات ابن البيطار وتذكرة داود الانطاكي (١

١) ومما جاء في كتابهِ انّ النمل «يكون بالتسافد بدليل بيضهِ» وليس عن العفونة

ثم أهمل استعمال الحامض النملي كدواء شروب الّا انّ الاطباء لم يزالوا يشيرون الى مفاعيله كدهن . فمن ذلك انّ رافيه (Ravier) لمّا اراد سنة ١٨٢٢ ان ينال شهادة الدكتورية في كلّية باريس اتّخذ كموضوع بحثه الحامض النملي بصفة مرهم لداء المفاصل الزمن . ومن راجع باب النقرس في المعاجم وجد بغير مرّة ذكر هذا الحامض كدواء له . بل ترى الكتّاشات الاخيرة في المانية (سنة ١٩٠٠) وسويسرة (١٨٩٣) تذكر مركب الكحول النمليّة (l'alcoolat de fourmis) ومنافع القرّاص لشفاء اوجاع المفاصل وضرب الجسم العليل به انّما سببها ما في هذا النبات من الحامض النملي . على انّ استعماله كان نادرًا

واستحضار الحامض النملي ليس بصعب يُستخرج في المختبرات بفعل الحامض الأكساليك في الغليسرين الحار . وهذه طريقة علميّة سهلة . ويجوز ايضًا استقطار النمل كما كان يفعل القدماء . ودونك ما جاء في كتاب لامري القديم والكتّاش السويسري الحديث

(لامري) استحضار ماء الروزة . اجعل في قدح ماء قبضتين من النمل وغطِّ الاناء واترك النمل في الماء الى ان تفسد فيه بالنتن وتتحلّل تمامًا ثم اجعل الاناء في وعاء آخر يُغلى ماؤهُ ثمّ استقطر وزِدْ على المانع بعد القطر قليل من ماء القرفة

(الكتّاش السويسري) تحضير روح النمل . خذ خمسين قسمًا من النمل و ٧٥ قسمًا من الكحول ومثلها من الماء ثمّ انقعها مدّة يومين واستقطر منها مئة قسم

والحامض النملي الصافي يكون سائلًا حاذقًا تُشمّ منهُ رائحة نمل شديدة

وقد بيّن حديثًا العلّامتان كليمان وكاريك ان للحامض النملي او لاملاحه (formiates) فعلًا لا يُنكر اذا شُرب منهُ او منها . واثبت المسيو كليمان امام المجمع العلمي في ليون في الجلسة المعقودة ٢١ آذار انّ الحامض النملي يزيد في القوّة العصبيّة ويمكّن الجسم كثيرًا على احتمال التعب واظهر الامر بمقياس موسو المعروف بالارغوغراف (Ergographe de Mosso) . ثم قام في جلسة ٢٨ آذار المسيو كاريك وبعد ذكر اختبارات المسيو كليمان قرّر انّ الاملاح النمليّة المركّبة من الحامض النملي والصودا او الكلس تُنمي النشاط وشهوة الطعام والقوّة الدماغية والطبيعية . واعلن انّهُ اتّهم

والرطوبة كما كان القول شائعًا في زمانه

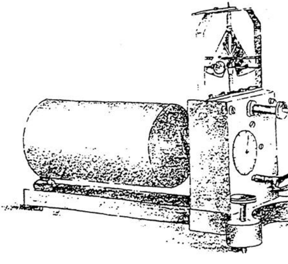
صباح مساء ثلاث غرامات من مركّب الحامض النمليّ والصودا دون ان يُصاب بضرر وانهُ حصل بذلك على شدَّة في الشرايين وازدادت فيهِ حركة الدورة الطبيعية

فترى من ثمَّ ان الحامض النمليّ دواء يمكن الانتفاع بهِ واذا صحَّت اختبارات العالمين السابق ذكرهما عاد الاطبَّاء الى التعالج بهِ

ولعلَّ القارئ يسألنا هنا وما هذا الارغوغراف المنسوب لموسو الذي ذكرتَهُ واستخدمهُ المسيو كليمان لامتحاناتهِ . فاقول انَّ الارغوغراف آلةٌ لقياس العمل كما يُستدلّ على ذلك من اسمهِ اللغويّ وآلة موسو (انظر الصورة) تتركَّب من قاعدة افقية يُثبَت بها عضد الانسان دون حراك بحيث تبقى اليد مفتوحةً ووجه الكف الى فوق . ثمَّ يُجعَل الباهم والبنصر في غلافين ثابتين امَّا الاصبع الوسطى فيمكن تحريكها ولكن اذا تحرَّكت رفعت ثقلًا معلَّقًا بخيط يجتاز على بكرتين صغيرتين . فبكلّ حركة ترفع الثقل الى علوٍ يزيد او ينقص على قدر قوَّة اعصاب الاصبع . فينبغي ان يرفع الاصبع هذا الثقل الى اعلى درجة يمكنهُ واطول مدَّة يمكنهُ . وكلّ حركات الاصبع تقاس من نفسها بآلة شائعة في علم الفيسيولوجية وهي عبارة عن اسطوانة حولها ورقة مطلية بالسناج . والاسطوانة تدور بلولب كلولب الساعات حول قطبها بسرعات مختلفة . وفوق الاسطوانة مسلَّة ترسم كلّ الحركات على الورقة بازالة السناج الذي طُليت بهِ وبرسم خطٍّ ابيض عليها . ويجوز ان يتَّخذ ورق ابيض ويجعل فوقهُ قلم مجبر يخطّ عليهِ خطًّا اسود . وفي الارغوغراف تكون المسلَّة المذكورة مرتبطة بالخيط الحامل للثقل فيتحرَّك بحركة موازية لذاته على طول زلَّاقة (glissière) . وبقدر كثرة العمل يزيد ايضًا انتقال المسلَّة ويطول الخطّ المرقوم على ورقة الاسطوانة . والشكلان اللذان تراهما هنا يبيّنان الامر حسيًّا

ولدرس قوَّة الاعصاب وعملها في احوال شتَّى والمقابلة بينها ينبغي ان يُحمَّل العصبُ الثقلَ المذكور مدَّةً الى ان ينوءَ دونهُ ويتعب ثمَّ يُريَّح قليلًا ويعود ثانية الى رفع الثقل فتكون مدَّة حملهِ اقصر من المدَّة الاولى . وهكذا مرارًا عديدة حتَّى لا يعود يمكن الاصبع ان يتحرَّك لِما اصابهُ من الكلل وتكون كلّ حركاتهِ مدوَّنة بالآلة الراقمة . ثمَّ تُختبَر قوَّة الاعصاب على الشخص عينهِ بعد أن اشربتهُ شيئًا من الحامض النمليّ فتقابل بين قوَّة اعصابهِ الطبيعية وقوَّتها بعد شرب الحامض

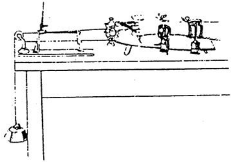
وفي آخر الاختبار بعد رفع الثقل مرات متوالية الى ان يكلّ الاصبع تماماً تجد كلّ حركات العصب مدوّنة بخطوط صاعدة فنازلة وهي تقصر شيئاً فشيئاً الى ان تبلغ الى الصفر كما ترى في الشكل

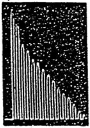


الارغوغراف او مقياس العمل لموسّو

والمسيو كليمان قد قابل بين قوّة العصب الطبيعيّة وقوّته بواسطة الحامض النملي فوجد ان الشخص الذي جرت فيه الاختبارات في حالته الطبيعية امكنهُ ان يتمّ خمسة اطوار من العمل مع ثقل يبلغ خمسة كيلوغرامات . ففي الطور الاوّل بلغت انعطافات العصب ٥٦ عطفة وفي الثاني ٢٨ ثم ٢٢ ثم ١٤ ثم ١٢ . وكانت هذه العطفات مختلفة السعة فلم يمكن المقابلة بينها . واذا اعتبرت ارتفاع الثقل والثقل نفسهُ وحسبت العمل بالكيلوغرامتر (kilogrammètre) اي وحدة قياس العمل الذي هو عبارة عمّا يلزم من العمل لرفع ثقل كيلوغرام الى علوّ متر واحد في الهواء وجدت عدد الرفعات ١٣٢ رفعة تساوي ٢١ كيلوغرامترًا

ثم وجد المسيو كليان في الشخص عينهِ بعد ان اشربهُ كمية من الحامض النملي او من املاحهِ انهُ تمم عشرة اطوار من العمل. وبلغ عدد الرفعات ٤٧٩ رفعة ومجمل العمل تناهى الى ١٠٦ كيلوغرامترات . فبقوة الحامض النملي ليس فقط زاد عدد





العطفات فبلغ ٣٤٧ عطفة وهو العمل الظاهر بل كان ايضاً العمل الحقيقي اوفر وانتهى الى ١٠٦ كيلوغرامترات بدلاً من ٢١ اعني انهُ زاد الى خمسة اضعاف

فهذه خلاصة اختبارات المسيو كليان ولا نشك بعد ذلك ان الاطباء يعودون الى استعمال الحامض النملي وينظمونهُ في سلك الادوية الناجعة

الأحداث الكتابية في شعراء الجاهلية

بحث للاب لويس شيخو اليسوعي مدرس الآداب العربية في المكتب الشرقي (تتمة)

٧ ذكر نوح والطوفان (تابع)

وقال الاعشى (راجع شعراء النصرانية ص ٣٨٩) يمدح اياساً ويشبههُ بنوح:

جزى الاله اياساً خير نعمتهِ كما جزى المرء نوحاً بعد ما شابا
في فُلكهِ اذ تبدَّاها ليصنعها وظلَّ يجمع الواحاً وابوابا

وقال امية بن ابي الصلت يصف صنع الله وقدرتهُ (راجع خزانة الادب ٤ : ٤):

عرفت ان لن يفوتَ اللهَ ذو قِدَمٍ وانهُ من عبيد السوء ينتقمُ

المُسبِح الخُشُب فوقَ الماءِ سخَّرها خلال جريتها كانَّها عُوَمُ (١
تجري سفينةُ نوحٍ في جوانبهِ بكلِّ مَوْجٍ مع الأرواح تقتحمُ (٢
مشحونةٌ ودخان الموج يرفعها ملأى وقد صُرعت من حولها الامم (٣
حتَّى تسوَّت على الجوديّ (٤ راسيةً بكلّ ما استودعت كأنّها أُطُمُ (٥

وروي لهُ ايضاً في كتاب الحيوان للجاحظ (Ms de Vienne, ff. 396[r])
بيتان في البهائم التي كانت في سفينة نوح:

تصرخُ الطيرُ والبريَّةُ فيها مع قويِّ السباعِ والافيالِ
خرُ فيها مِن كلِّ ما عاش زوجٌ بين ظهريَّ غواربٍ كالجبالِ

٨ ذكر ابراهيم الخليل وابنهِ اسحاق

ورد ذكر الخليل في الشعر الجاهليّ امَّا اميَّة بن الصلت فقد وصف تقدمتهُ لابنهِ لسحاق للربّ حيث قال (راجع تاريخ الطبري ١:٣٠٨ وكتاب البدء ٣:٦٥ وقصص الانبياء ٩٣)

ولإبراهيمَ المُوفي بنذرٍ إحتساباً وحامل الأجذال (٦
بكرِهِ لم يكن ليصبر عنهُ لو رآهُ في معشرٍ أقتالِ (٧

---

١) جاء في خزانة الادب نقلاً عن شرح ديوان اميَّة قال: يقال سَبَّحَ الرجل وأسبحهُ الله. والعُوَم جمع العُومة كأنَّها حيَّة تكون بعمان. والعامة شبه الطَّوْف الَّا انهُ اصغر منهُ يركب فيهِ البحر. وروى في لسان العرب (١٥: ٣٢٨): في اليمّ جريتُها.

٢) قال الشارح: في جوانبهِ اي جوانب الماء. ويروى بعد هذا البيت قولهُ:

نوديَ قُمْ واركبنْ باهلك م انَّ الله موفٍ للناس ما زعموا

وهذا البيت من بحر المنسرح وسابقهُ ولاحقهُ من البسيط. وقد نبَّه عليه في ذيل خزانة الادب فليس هو اذن من هذه القصيدة. وهو يروى للنابغة الجعدي على هذه الصورة:

نودي قُمْ واركبن باهلك م انَّ الله موفٍ للناس ما زعما

٣) قال الشارح: المشحونة المملوءة. يقال اشحنْ سفينتك اي املأها
٤) الجودي الجبل الذي يزعم العرب ان سفينة نوح نزلت فوقهُ
٥) والاطم القصر جمعهُ آطام
٦) روى الطبري (١: ٣٠٨) وصاحب كتاب البدء (٣: ٦٥) الموفيّ بالنذر . . وروى الثعلبيّ (ص ٨٣): حامد الاجذالِ. وروى في كتاب البدء: الاجزال بالزاي. وهو غلط. امَّا الأجْذَال فجمع جِذْل وهو القطعة الكبيرة من الحطب
٧) الأقتال جمع قِتْل وهو النظير والقرن والمقاتل. وروى الطبريّ: او يراهُ. ويروى في بعض نسخهِ: معشر أقيال

ولهُ مديةٌ تخايَلُ في اللحـم حُذامٌ حنيَّةٌ كالهلالِ (١
أبُنيَّ انّي نـذرتُك للّـهِ شحيطًا فاصبرْ فدًى لكَ حالي (٢
واشدُدِ الصَّفْدَ لا أحيدَ عن السـكّين حيْدَ الأسيرِ ذي الأغلالِ (٣
فاجابَ الغلامُ ان قال فيهِ كلُّ شيءٍ للهِ غيرَ انتحالِ (٤
جَمَلَ اللهُ جيدَهُ من نحاسٍ اذ رآهُ زَوْلًا من الأزوالِ (٥
بينا يخلعُ السرابيلَ عنهُ فكَّهُ ربُّهُ بكبشٍ جُلالِ (٦
قال خذهُ فأرسِل ابنَكَ عنهُ اني مـا قد فعلتما غيرُ قالِ (٧
والدٌ يتّقي وآخرُ مولو دٌ فطارا منهُ بسَمْعِ فعالِ (٨
رُبّما تجزعُ النفوسُ من الأمـرِ لهُ فَرْجةٌ كحلِّ العقالِ (٩

٩ ذكر لوط وعقاب سدوم

وقد عرف ايضًا اهل الجاهلية لوطًا وظلم اهل سدوم وعقاب الله لهم على آثامهم فمن ذلك ما انشد الجوهري لبعضهم (تاج العروس ٨ : ٣٣٥ واللسان ١٥ : ١٧٧)

كذلك قومُ لوطٍ حين أمسوا كعَصْفٍ في سَدومِهِمِ الرميمِ (١٠

١) مديةٌ حُذام وخذام اي قاطعة . وحنيَّةٌ مستديرةٌ . وتخايَلُ اي تلوح . وروى في قصص الانبياء (ص ٨٣) : تخايَلُ في اللحم غلامًا جبينُهُ كالهلال . وهي رواية مصحَّفة

٢) الشحيط الذي يَتَشحّط اي يضطرب في دمهِ يريد نذرتُ ان اضحّيك لله . وروى في كتاب البدء (٣ : ٦٥) : سحيطًا . وفي قصص الانبياء : فذلك حالي

٣) لا احيد اي لئلّا احيد . يقول لابنهِ : شدَّ اغلالك شدًّا متينًا لئلّا يصيب السكين غير المقتل . ويروى : من السكّين

٤) غير انتحال اي غير ادّعاء يريد انَّ لله حقًّا في كلّ شيء حتى في حياة البشر

٥) الزَّوْل الشجاع والعجب. والجيد العنق. لعلَّهُ يريد انَّ الله لمّا رأى ابراهيم الخليل مقدامًا شجاعًا في تضحية ابنهِ جعل عنق ولدهِ كالنحاس فلم تؤثّر فيهِ المدية . ويروى : جعل الله حَيْدَهُ . والحَيْد المثل والنظير

٦) روى في قصص الانبياء : السراويل . والكبش الجُلال العظيم . وروى الثعلبي : بكبش حَلالِ .

٧) روى الطبري : فخذا ذا . والثعلبي : فخذن ذا فدًى لابنك . وروى الطبري : للذي قد فعلتما .وقولهُ غير قالِ اي غير مُبغض من قلاهُ اذا ابغضهُ اي اني راضٍ بفعلكما

٨) لم يروِ البيت غير الطبريّ ولعلَّهُ مصحَّف

٩) وفي كتاب البدء : تكرهُ النفوس. ولهذا البيت قصّة رويناها في مقدّمتنا على فقه اللغة (ص ١٨)

١٠) رواهُ في معجم البلدان (٣ : ٥٩) : حين اضحوا . . . رميم

وكذلك رُوي لعمرو بن درَّاك العبديّ قولهُ (فيهما) :

وانّي وان قطعتُ حبالَ قيسٍ   وخالفتُ المرونَ على تميمِ
لأعظمُ فجرةً من أبي رغالٍ   وأجْورُ في الحكومة من سدومِ (١

وقال اميَّة يذكر قصَّة سدوم (معجم البلدان لياقوت ٣ : ٥٩ وكتاب البدء ٣ : ٥٨ وآثار البلاد للقزويني ١٣٥)

ثمَّ لوطٌ اخو سدومٍ (٢ اتاها   اذ اتاها برشدها وهُداها
راودوهُ عن ضيفهِ ثمَّ قالوا   قد نهيناك ان تقيمَ قِراها
عرض الشيخُ عند ذاك بناتٍ   كظباءٍ بأجرعٍ ترعاها (٣
غضبَ القومُ عند ذاك وقالوا   ايها الشيخ خطبةً نأباها
أجمع القومُ امرهم وعجوزٌ   خيَّب الله سعيها ولحاها (٤
ارسل الله عند ذاك عذاباً   جعل الارض سفلها اعلاها
ورماها بحاصبٍ ثم طينٍ   ذي جروفٍ مسوَّمٍ اذ رماها (٥

١٠ موسى الكليم وفرعون

وممَّا اكثر شعراء الجاهليَّة من ذكرهِ موسى كليم الله وقصَّتهُ مع فرعون وطغيان فرعون وعقابهُ . فمن ذلك قول زيد بن عمرو في قصيدتهِ اليائيَّة التي رواها البعض لاميَّة ابن ابي الصلت (راجع سيرة الرسول لابن هشام ص ١٤٥–١٤٦ وكتاب البدء ١ : ٧٥ وخزانة الادب لعبد القادر البغدادي ١ : ١١٩) :

رضيتُ بك اللّهمَّ ربًّا فلن أُرى   أدينُ الهًا غيرك الله ثانيا
وانتَ الذي من فضل منٍّ (٦ ورحمةٍ   بعثتَ الى موسى رسولًا مناديا
فقال أعنّي يا ابنَ امّي فانَّني   كثيرٌ بهِ يا ربّ صلْ لي جناحيا (٧

---

١) ويروى : لاخسرَ صفقةً من شيخ مهوٍ . وابو رغال هو ملك الطائف الذي دلَّ الحبش على الكعبة

٢) في كتاب البدء : لوطاً اخا سدوم

٣) وفي كتاب البدء : فرعاها . وروى القزويني : عَرَضَ الشيخ

٤) لحاها لنها . وفي معجم البلدان : ورجاها . وروى القزويني : « عزم القوم امرهم بعجوزٍ . . . وعاها »

٥) وفي معجم البلدان : ذي حروف . والمسوَّم المكلَّف والمسخَّر

٦) وفي خزانة الادب : من فضل سيب

٧) هذا البيت في الخزانة فقط

فقلتَ لهُ فاذهب وهارون فادعُوا الى الله فرعونَ الذي كان طاغيا (١
وقولا لهُ أأنتَ سوَّيتَ هذه بلا وَتَدٍ حتّى اطمأنّت كما هيا (٢
وقولا لهُ أأنتَ رفعتَ هذه بلا عَمَدٍ أرفِقْ اذًا بك بانيا (٣
وقولا لهُ أأنتَ سوّيتَ وسطها منيرًا اذا ما جنّهُ الليلُ ساريا (٤
وقولا لهُ من يُرسل الشمسَ غدوةً فيُصبحُ ما مسّت من الارض ضاحيا (٥
وقولا لهُ من أنبتَ الحبَّ في الثرى فأصبح منهُ البقلُ يهتزُّ رابيا (٦
ويُخرجُ منهُ حبَّهُ في رؤوسهِ وفي ذاك آياتٌ لمن كان واعيا (٧

وقال امية بن ابي الصلت يذكر صلف فرعون وعقابهُ (كتاب البدء ٣: ٨٢):

ولفرعونَ اذ تُساقُ لهُ الما ء فهلّا لله كان شكورا
قال انّي انا المجيرُ على النا س ولا ربَّ لي عليَّ مجيرا .
فمحاهُ الالهُ من درجاتٍ ناميات (٨ ولم يكن مقهورا
سُلب الذكر في الحياة جزاءً وأراهُ العذاب والتنيرا
وتداعى عليهم البحرُ حتّى صار موجًا وراءهُ مستطيرا
فدعا الله دعوةً لا تُغنّا بعد طغيانهِ فصار شبيرا (٩

وكذلك ذكر العرب آية المنّ والسلوى. قال الاعشى (سيرة الرسول ٣٦٨):

لو أُطعموا المنَّ والسلوى مكانَهُمُ ما ابصر الناس طعمًا فيهم نجما

١١ داود النبيّ

قد عرف عربُ الجاهليّة من داود زبورَهُ فذكروهُ في شعرهم ثم صار عندهم

---

١) روى في كتاب البدء . فادعو . وهو مكسور الوزن . ورواهُ في الخزانة :

وقلتَ لهارون اذهبا فتظاهرا على المرء فرعون الذي كان طاغيا

٢) روى في بلوغ الارب لشكري افندي الالوسي (٢: ٢٨٢): أأنت الذي سوّيت . وهو مختلّ الوزن . وفي كتاب البدء : حتى استقرَّت : وهو غلط

٣) رواهُ في كتاب البدء :

وقولا لهُ أأنتَ سمَّكتَ هذه بلا عمدٍ حتَّى استقرَّت كما هيا

٤) وفي سيرة الرسول : هاديا

٥) رواهُ في الخزانة : من اخرج الشمس بكرةً فاصبح . . .

٦) رواهُ في كتاب البدء (١: ٧٥) مصحَّفًا :

وقولا لهُ من ينبت الحيّ والثرى فتصبح منهُ البقلُ يهتزُّ راسيا

٧) في الخزانة : فاصبح منهُ حبّهُ

٨) كذا في الاصل . ولعلّها رواية مصحّفة . وقولهُ : لم يكن مقهورا اي لم يكن الله مغلوبًا

٩) لعلَّ في هذه الرواية تصحيفًا

الزبور كناية عن كلّ كتاب وحي . فمن ذلك قول حاتم الطائي يشير الى مزامير داود (الاغاني ٧ : ١٣٢) :

أتعرف آثار الديار توهُّماً كخطّك في رقّ كتاباً مُنَمنَما
اذاعت به الارواح بعد أنيسها شهورًا وأيامًا وحولاً مجرَّما (١

وقال المرقش الاكبر (شعراء النصرانيّة (ص ٢٨٦) :

ولقد غدوتُ وكنتُ لا اغدو على واقٍ وحاتمْ (٢
فاذا الأشائمُ كالأيامن والايامن كالاشائمْ
وكذاك لا خيرٌ ولا شرٌّ على احدٍ بدائمْ
قد خُطَّ ذاك في الزبو رِ الاوّليّات القدائمْ

وقال مرّار بن منقذ العدويّ في المفضّليات يصف دارًا :

وترى منها رسومًا قد علت مثل خطّ اللام في وحي الزُّبُرْ (٣

وكان عرب الجاهليّة ايضًا ينسبون الدروع لداود النبيّ ويزعمون انهُ اوّل من سردها . قال طرفة (راجع شعراء النصرانيّة ص ٣٠٩ ودواوين الشعراء الجاهليين ٩٢)

وهُمُ ما هُمُ اذا ما لبسوا نسجَ داودَ لبأسٍ مُحتضرْ

وقال حصين بن حمام المرّي (راجع الحماسة طبعة بنّ ص ١٨٩ وشعراء النصرانيّة ٧٣٨) يصف كتائب :

عليهنَّ فتيانٌ كساهمْ مُحرِّقٌ (٤ وكان اذا يكسو اجاد واكرما
صفائحَ بُصرى أخلصتها قيونُها ومطّردًا من نسجِ داوُود مبهما (٥

وكذا جاء في الحماسة (ص ٢٨٤) لحُسَيل بن سُجَيح الضبّي في وصف الدرع:

وبيضاء من نسجِ ابن داوودَ نَثْرةٍ تخيَّرتُها يومَ اللقاء الملابسا

---

١) قال صاحب الاغاني (٧ : ١٣٢) : طارحتْ جميلة المغنّية بهذه الابيات لجارية لتغنّيها وحدَّثت انهُ حضر ذلك المجلس جماعة من حذّاق اهل الغناء فكلهم قال : مزامير داود

٢) الواقي الصُّرد . والحاتم الغراب . يقول انهُ كان يتشاءم بهما اذا رآهما صباحًا

٣) اي الكتب الموحى بها

٤) هو عمرو بن هند ملك الحيرة قيل انهُ لُقّب بالمحرّق ذلك لانهُ حرّق بني دارم يوم اوارة

٥) بُصرى مدينة من لواء حوران اشتهرت بأسلحتها . والقيون جمع قَين وهو الحدّاد والصيقل. واراد بالمطّرد المبهم الدرع السابغ الذي بالمطّرد ينفذ فيه السهم لتلاحم زرده

وقال الاعشى (شعراء النصرانيَّة ٣٨٨) :

واعددتُ للحرب اوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا
ومن نسجِ داوودَ يُحدَى بها على أثر العيس عِيرًا فعيرا

١٢ سليمان النبيّ

يطلب شعراء الجاهليَّة في حكمة سليمان وسموّ سلطانهِ وابنيتهِ العجيبة كما فعل الكتاب الكريم في سفر الملوك الثالث ولخبار الايّام الثاني. ويزيد العرب انَّ سليمان كان يسخّر الجنّ في اعمالهِ الجبَّاريَّة. فمن ذلك قول النابغة في النعمان (راجع شعراء النصرانيَّة ٦٦٣ وديوانهُ)

ولا ارى فاعلاً في الناس يشبههُ ولا أُحاشي من الاقوام من احدِ (١
الاَّ سليمانَ اذ قال الالهُ لهُ قُمْ في البريَّة فاحدُدْها عن الفَنَدِ (٢
وخيِّسِ الجنَّ اني قد أذِنتُ لهم يبنون تدمرَ بالصُّفَّاح والعَمَدِ (٣
فمن أطاعك فانفعْهُ بطاعتهِ كما اطاعك وادلُلْهُ على الرَّشَدِ (٤
ومن عصاكَ فعاقِبْهُ معاقبةً تَنهى الظَّلُوم ولا تقعُدْ على ضَمَدِ (٥

وكذلك قد نسب اعشى قيس بناء قصر الابلق الفرد لسليمان بن داود حيث قال (راجع معجم البلدان لياقوت ١:٩٦ وشعراء النصرانيَّة ص ٣٧٥)

ولا عاديا لم يمنع الموتَ مالُهُ ووِردٌ بتيماء اليهوديِّ ابلقُ
بناهُ سليمانُ بن داوودَ حقبةً لهُ ازجٌ عالٍ وطَيٌّ موثَّقُ
يوازي كُبَيْداء السماء ودونهُ بلاطٌ وداراتٌ وكلسٌ وخندقُ

وقال الاعشى يذكر سليمان وسعة ملكه وتسخيرهُ للجنّ (كتاب البدء ٣ : ١٠٨) :

فلو كان حيٌّ خالدًا ومعمَّرًا لكان سليمان البريّ من الدهرِ
براهُ الهي واصطفاهُ عبادهُ وملَّكهُ ما بين سرقى الى مصرِ (٦

---

١) ويروى : وما ارى . . . وما احاشي

٢) ويروى : اذ قال المليك لهُ . ويروى : كُنْ في البريَّة . ويروى : فاحددها عن الفَنَد .

٣) خيِّسه ذلِّلهُ . وتدمر المدينة الشهيرة التي ذكر الكتاب ان سليمان بناها (٣ ملوك ٩ : ١٨) والصفَّاح الحجارة العراض . وروى الثعلبي في قصص الانبيا (٢٦٤) :

وجيِّش الجيش اني قد أبحتُ لهم بناء تدمر بالاحجار والعمدِ

واردُدها عن الفَنَد . وازجرها عن الفند . والفَنَد الخطأ

٤) ويروى : فاعقبهُ لطاعتهُ . اي جازهِ ٥) الضمد الذلّ والظلم

٦) في الاصل : عبارة . ونظنّهُ تصحيفاً . امَّا سرقى فلم نجد لها ذكرًا في كتب البلدان . وقد زعم المسيو هوارت (Cl. Huart) انَّها صرقند وانَّ الاعشى اشتقَّها من اليونانية (Σαρεφθά)

وسخّر من جنّ الملائك شيعةً قياماً لديهِ يعملون بلا أجْرِ

١٣ يونان النبيّ

عرفهُ العرب في الجاهلية ودعوهُ يونس وضربوا المثل في حوتهِ فقالوا «آكل من حوت يونس» و «أنهم من حوت يونس». وقد ورد ذكرهُ في يائية زيد بن عمرو المرويّة لامية بن ابي الصلت (راجع شعراء النصرانية ٢٣١ وسيرة الرسول لابن هشام ص ١٤٦):

وانت بفضل منكَ نجّيتَ يونساً وقد باتَ في أضعاف حوتٍ لياليا

ومنها في كتاب تاريخ الحيوان والنبات والجماد (Ms 687 de Paris, f.65) يذكر يقطينة يونس التي انبتها الله وايبستها الشمس بعد ان استظلَّ تحتها (راجع سفر يونان ٤: ٦-٧ ودُعيت هناك خروعةً):

فأنبتَ يقطيناً عليهِ برحمةٍ من الله لولا الله أُبقيَ ضاحيا (١

١٤ السيد المسيح

ولم نجد بعد النبيّ يونان في شعراء الجاهلية ذكر احد من الانبياء. او شيء من احداث الكتاب المقدَّس الى السيّد المسيح. وهم يذكرونهُ في شعرهم ويدعونهُ الابيل او الزاهد قال عمرو بن عبد الحقّ وقيل ابن عبد الجنّ (راجع المعاجم في مادّة ابل):

وما قدّس الرُّهبان في كلِّ هيكلٍ ابيل الابيلين المسيح بن مريما (٢

ولامية بن ابي الصلت ميمية روى فيها اخبار السيد المسيح وبشارة الملاك لوالدتهِ الطاهرة وذكر ميلادهُ العجيب بقوَّة الروح القدس. لكنَّهُ ادخل في قولهِ بعض المزاعم المنقولة عن الاناجيل غير القانونية (راجع كتاب البدء ٣: ١٢٣):

وفي دينكم من ربّ مريمَ آيةٌ منبّئةٌ بالعبد (٣ عيسى بن مريمِ

اتابت لوجه الله ثم تبتّلت فسبّح عنها (٤ لومةَ المتلوّمِ

فلا هي همّت بالنكاح ولا دنتْ الى بشرٍ منها بفرجٍ ولا فمِ

١) كذا في الاصل. ولعل الرواية: ما بقي ضاحيا

٢) ويروى: ابيل الابيليّين عيسى بن مريما

٣) في الاصل والبد ونظنُّها تصحيفاً. وقد دعا المسيح عبداً لله من حيث طبيعتهِ البشريَّة

٤) سبّح عنها اي نزّه وأبعد

ولطّت حجاب البيت من دون اهلها   تغيَّبُ عنهم في صحاريّ رِمْرِمِ (١
يحارُ بها الساري اذا جنّ ليلهُ   وليس وان كان النهار بمَعلمِ
تدلّى عليها بعد ما نام اهلُها   رسول فلم يحصر ولم يترمرمِ (٢
فقال ألا لا تجزعي وتُكذّبي   ملائكةً من ربِّ عادٍ وجُرهُمِ
أنيبي وأعطي ما سُئلتِ فإنّني   رسولٌ من الرحمن يأتيكِ بابنَمِ (٣
فقالت لهُ أنّى يكونُ ولم اكن   بغيّاً ولا حُبلى ولا ذات قيِّمِ (٤
أ أُحرَجُ بالرحمان ان كنتَ مؤمناً   كلاميَ فاقعُدْ ما بدا لكَ او قمِ (٥
فسبّح ثم اعترّها (٦ فالتقت بهِ   غلاماً سويَّ الخَلْق ليس بتوأمِ
بنفختهِ في الصدر من جيب دِرْعها   وما يصرم الرحمنُ يلْ امرٍ يُصرَمِ (٧
فلمّا اتّتْهُ وجاءت لوضعهِ   فآوى لهم من لومهم والتندُّمِ (٨
وقال لها مَنْ حولها جئتِ مُنكَراً   فحقٌّ بان تُلْحَيْ عليهِ وتُرْجَمي (٩
فادركها من ربّها ثمَّ رحمةٌ   بصدق حديثٍ من نبيٍّ مكلِّمِ (١٠
فقال لها اني من الله آيةٌ   وعلَّمني والله خيرُ معلّمِ
وأُرسلتُ لم أُرسَل غويّاً ولم اكن   شقيّاً ولم أُبعث بفحش ومأثمِ

١٥ ذكر يوم الدين والبعث والحساب والآخرة

كان شعراء الجاهلية يعرفون حقيقة القيامة ويوم الحشر وهم يذكرون اهوال

---

١) يقال لطّ الباب اذا اغلقهُ . ورِمْرِم مكان ذُكر في دارات العرب (راجع ياقوت ٢ : ٥٢١) ولعلّ الرِمْرِم الحشيشة المشوكة المعروفة ايضاً بالرمرام فنسب الصحاريَّ اليها . امّا المعنى فغير واضح . لعلَّ الشاعر يريد انَّ مريم خرجت الى الصحراء وهناك ظهر لها الملاك وهو قول لا سَنَد لهُ اخذهُ اميّة من اقوال الكتب غير القانونية   ٢) حصر قصر عن الكلام . وترمرم حرّك شفتيهِ بالكلام . يريد ان كلامهُ لم يكن كمثل كلام البشر

٣) ابنم كابن زيدت فيها الميم (راجع المشرق ٦ : ٣٢) . وقولهُ : « وأعطي ما سُئلتِ » اي إرْضَي بما طلبهُ منكِ الربّ

٤) ذات قيّم اي ذات زوج . والبيت ترجمة قول العذراء للملاك : كيف يكون ذلك وانا لا اعرف رجلًا

٥) في الاصل : أ أخرج وهو تصحيف . والمعنى : كيف آثمُ امام الرحمان . فان صدَّقتَ قولي والّا فافعل لما بدا لك مقيماً او ذاهباً

٦) اعترّها اي اعترض لها . يشير الى قول الانجيل انَّ الروح القدس ظلّلها فحبلت بقوّتهِ

٧) صرمهُ بتّهُ وفصلهُ . يلْ الامر اي من الامر

٨) في البيت تصحيف . والمعنى انَّ اهل مريم لمّا رأوا ولدها شكّوا ببرارتها . وهذا قول ورد في الاناجيل غير القانونية   ٩) لحاهُ بكتهُ وعابهُ . وفي الاصل تلجي وهو تصحيف

١٠) جاء في انجيل الطفوليّة غير القانوني ان المسيح برّر امهُ فتكلّم في المهد وهو طفل

الدينونة واحوالها المختلفة ولا شكَّ أنهم اخذوا ذلك عن الكتب المقدَّسة. قال زهير في معلَّقته (راجع شعراء النصرانية ٥١٨):

فلا تكتمُنَّ اللهَ ما في صدوركم ليخفى ومهما يُكتَمِ اللهُ يَعلمِ
يؤخَّرْ فيوضع في كتاب فيُدَّخر ليوم الحساب او يُعجَّلْ فيُنقَمِ

وقال قسّ بن ساعدة (كتاب المعمّرين لابي حاتم السجستاني طبعة ليدن ص ٧٦)

يا ناعيَ الموتِ والاموات في جدثٍ عليهم من بقايا بزّهم خِرَقُ (١
حتى يعودوا بحالٍ غير حالهم خَلقًا جديدًا كما من قبلِهِ خُلقوا (٢
منهم عراةٌ وموتى في ثيابهم منها الجديدُ ومنها الاورقُ الخَلَقُ

وقال امية بن ابي الصلت عند وفاته (راجع الاغاني ٣: ١٢٩ وقصص الانبياء ٢٠٩)

انَّ يوم الحساب يومٌ عظيمٌ شاب فيه الصغير يومًا ثقيلًا (٣
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في قلال الجبال ارعى الوعولا (٤
كل عيشٍ وان تطاول دهرًا منتهى امرِهِ الى ان يزولا (٥
اجعل الموت نصب عينك واحذر غولة الدهرِ انَّ للدهر غُولا

ولاميَّة اقوال عديدة في يوم الحشر (راجع شعراء النصرانيَّة ص ٢٢٨)

وحالاتُ دنيا لا تدومُ لاهلها فبينا الفتى فيها مهيبٌ مسوَّدُ
اذ انقلبتْ عنهُ وزال نعيمُها وأصبح من تُربِ القبور يوسَّدُ
فكن خائفًا للموت والبعث بعدَهُ ولا تكُ ممَّن غرَّهُ اليومُ او غدُ

وقال يذكر انتظار البشر ليوم الدينونة وظهور المسيح ليدين العالم (كتاب البدء ٢: ١٤٥)

والناسُ راثَ عليهم امرُ ساعتِهم فكلُّهم قائل للدِّين أيَّانا (٦
ايَّامَ يلقى نصاراهم مسيحَهُمُ والكائنين لهُ ودًّا وقربانا (٧
م ساعدوهُ كما قالوا الههمُ وارسلوهُ يريد النيث دُسفانا (٨

---

١) ويروى: فهم اذا انتبهوا من نومهم فرقوا

٢) ويروى: يحيى بحالٍ... خلقٌ مضوا ثم ماذا بعد ذاك لقوا ٣) ويروى: يومًا طويلًا

٤) ويروى: في رؤوس الجبال ٥) ويروى: صائرٌ مرَّةً الى ان يزولا

٦) راث اي تأخر. يريد انَّ الناس يكونون في انتظار الساعة فيقول كلٌّ منهم أيَّانا اي متى يحلّ ٧) لعلَّ في الاصل والكائنين اي الخاضعين

٨) الدسفان المرسل. يريد انَّهُ تقدَّمهم كالرائد الذي ينتجع الكلأ. لعلَّ في هذا اشارة الى قول المسيح في انجيل يوحنا الحبيب (١٤: ٢). اني ذاهب لاعدَّ لكم المكان. وروى في كتاب البدء: وارسلوه كسوف النيب. وفي اللسان: يسوف النيث

ومنها (راجع خزانة الادب للبغدادي ٤ : ٧) :

لا تَخلِطنّ خبيثاتٍ بطيّبةٍ واخلعْ ثيابك منها وانجُ عريانا
كلُّ امرئٍ سوف يُجزى قرضهُ حسناً او سيّئاً ومُديناً كالذي دانا

وقال ايضاً وقد احسن في وصف الدينونة (كتاب البدء ٢ : ١٤٦) :

ويومُ موعدهم ان يُحشَروا زُمَراً يومُ التغابن اذ لا ينفعُ الحذَرُ
مستوسقينَ مع الداعي كأنّهمُ رِجلُ الجراد زفتْهُ الريح تنتشرُ
وأُبرزوا بصعيدٍ مستوٍ حرزٍ وأُنزِل العرشُ والميزان والزُبُرُ
وحوسِبوا بالذي لم يُحصهِ احدٌ منهم وفي مثل ذاك اليوم معتبرُ
فمنهمُ فَرِحٌ راضٍ بمبعثهِ وآخرون عصَوا مأواهمُ السَّقَرُ
يقول خزّانُها ما كان عندكمُ ألم يكن جاءكم من ربّكم نُذُرُ
قالوا بلى فتبعنا فتيةً بطروا وغرَّنا طولُ هذا العيش والعُمُرُ
قالوا امكثوا في عذاب الله ما لكمُ الّا السلاسلُ والاغلالُ والسَّعَرُ
فذاك عيشهم لا يبرحون به طولَ المقام وان صحّوا وان ضجروا

وقال ايضاً فاجاد (شعراء النصرانية ٢٢٦) :

فكلُّ معمَّرٍ لا بدَّ يوماً وذي دنيا يصير الى زوالِ
ويفنى بعد جدَّتهِ ويبلى سوى الباقي المقدَّس ذي الجلالِ
ويبقى المجرمون وهم عُراةٌ الى ذات المقامع والنَّكالِ
فنادوا ويلنا ويلًا طويلًا وعجُّوا في سلاسلها الطوالِ
فليسوا ميّتين فيستريحوا وكلّهمُ بحرِّ النار صالِ
وحلَّ المتَّقون بدار صدقٍ وعيشٍ ناعمٍ تحت الظلالِ
لهم ما يشتهون وما تمنّوا من الافراح فيها والكمالِ

وهو القائل في وصف الجحيم وافراح الجنّة (راجع المقاصد النحويّة في هامش خزانة الادب ٢ : ٣٤٦ وكتاب منتخب ربيع الابرار Ms. Wien, ff. 16v) :

١) سلامَكَ ربَّنا في كلّ فجرٍ بريئاً ما تليقُ بك الذمومُ
٢) عبادُكَ يخطئون وانت ربٌّ بكفّيك المنايا والحتومُ
غداةَ يقولُ بعضهمُ لبعضٍ ألا يا ليت امّكمُ عقيمُ
فلا تدنو جهنّمُ من بريءٍ ولا عدنٌ يحِلُّ بها الأثيمُ
ومنها: فهم يطفون كالاقذاء فيها لئن لم يغفر الربُّ الرحيمُ
ومنها في الجنة: ولا لغوٌ ولا تأثيمَ فيها ولا حَينٌ ولا فيها مُليمُ (٣

١) سلامَكَ منصوب بمعنى سلمتَ يا ربّنا. والذُّموم جمع ذمّ. ويروى: وما تَغَنّثك الذموم اي ما تلتصق بك ٢) الحتوم جمع حتم وهو القضاء ٣) ويروى: ولا غولٌ. والمليم المذنب

اذا بلغوا التي أجرَوْا اليها   نَقَبْلُهم وحُلَل من يصومُ
وخُفِضت النذورُ واردفتهم   فضول الله وانتهت القـومُ (١ (انتهى)

رحلة علميّة

من اديس ابابا الى النيل عن طريق بحيرة رودلف (تابع)

بقلم جناب عبد الله افندي مخائيل رعد الصيدلي القانوني في بلاد الحبشة

﴿ النيل · بلاد نيموله ﴾ بعد ان سار رجال البعثة اياماً قليلة وصلوا الى النيل الاعلى غاية رحلتهم القصوى وذلك في ٩ ايلول سنة ١٩٠٢ وكان وصولهم الى ضفّته اليمنى من ناحية مصب نهر «نياما» عليه ومن الجهة المارّ بهـا هذا النيل في بلاد «نيموله» (Nimulé) الانكليزية حيث يوجد مستعمرات للانكليز وحملة قلع بها اوردطتان من العساكر المعروفة باسم King's Africa Rifles · ورئيس هذا العسكر هو الكبتن لانكتون (Langtone) وهو بالوقت نفسه قائد القوّات الانكليزية في النيل وحاكم هذه الجهة وملحقاتها وهي «كوندوكورولادو» و«واديلوي» يساعده في مهمّته اثنان من القائمقامين وطبيب · وهذه الجهة هي ملحقة بحكومة الاوغندة · وهناك بواخر كثيرة فولاذية تسير في النيل بين قلعة واخرى ومركز وآخر · امّا مركز القائد فهو من اجمل المراكز فانه مبني على اكمة عالية يمتدّ منهـا النظر الى مدًى بعيد من كل الجهات ويُرى النيل حتى الجهة التي بها ينعطف مجراهُ الى الشرق ثم يلتوي عائدًا الى الشمال

امّا الضفّة اليسرى فقد سلّم منها الانكليز الى البلجيكيين بموجب معاهدة ولمدّة موقتة القطعة الممتدة من بحيرة ألبرت الى كوندوكورولادو فعسكروا في القلاع القديمة التي بُنيت قبلهم في دوفيلة (Doufilé) · اما عساكرهم فهي مؤلفة من الاي واحد من الوطنيين تحت قيادة القائمقام ريْنار (L^t Renard)

ومجرى النيل من دوفيلة الى العطفة التي تميل به نحو الشرق بطيءٌ جدًا وهو يسير في مستنقعات كثيرة القصب ونوع من شجر يشبه الصفصاف وعرض مسيلـه في هذه الجهة يزيد عن الكيلومترين · لكنّ ميـاههُ بعد هذه العطفة تعود فتنضمُّ الى بعضها

١) وفي كتاب البدء (٢ : ٢٠٢) : وجُفّفت البدور . وهو تصحيف . وهناك ابيات اخرى غلب على اكثرها التشويه لم نثبتها

ويصبح مسيلهُ لا يكاد يتجاوز ٨٠٠ متر فيسير قليلاً على تلك الحالة ثم ينفذ بين جبلين وهناك تبدأ الشلاّلات فيسرع النهر بجراه سرعة تحول دون الملاحة في النيل من تلك الجهة . هذا ما خلا الجزُر الصغيرة التي يقلعها عند ما تفيض مياهه بعد فصل الامطار ويجرُّها على سطحه فتقف في الامكنة الكثيرة الصخور وتتجمّع فوق بعضها بحيث يتألف في بعض المحلّات سدٌّ عظيم يصدّ الماء عن مجراه ويحوّله الى الجهات المجاورة فينتج عن ذلك برك لا بل بحيرات كبيرة —

﴿ ختام محزن ﴾ سطّر بالختام مع الاسف ان الفيكونت روبير دي بورج دي بوزاس ذاك الشهم الاثيل وصل مريضاً الى غاية رحلته وما كاد يتعافى حتى اعترتهُ الحمّى الخبيثة الضاربة اطنابها في تلك الجهة فلم يقوَ على مصادمتها ومات مخلفاً الاسف لآله وذويه وللحكومة التي ارسلتهُ ايضاً . وبينا ناظر المعارف ورئيس الجمعية الجيوغرافية في فرنسة كانا ينتظران خبر وصوله الى شاطئ الاتلانتيك حيث امرا ان يُعدّ له هناك الاستقبال اللائق بعد رحلته هذه الجسورة اذ دهمهما نبأ وفاته في النيل الاعلى فكان هذا الخبر لهما ولجميع من عرفه كصاعقة صُعقوا بها . والحقّ يقال انَّ رحلتهُ هذه في افريقية كانت من اعظم الرحلات واشدها خطراً واعظمها نفعاً للعلم تبقى لهُ مدى الدوران ذكراً خالداً يشير الى الاحقاب ان هذا الرجل المقدام لقي حتفه في ساحة الشرف وميدان العلم كوطني شجاع مؤدّياً الخدم التي لا توصف ومخلفاً مثلاً باهراً لكل من شاء ان يخدم الجيوغرافية بعدهُ

اما بقية رجال البعثة فبعد أن أدّوا الواجبات الاخيرة لرئيسهم ركبوا قطار السكة الحديدية الانكليزية الذي اقلّهم الى ساحل الاوقيانوس الاتلانتيكي ومن هناك ركبوا متن البحار عائدين الى اوطانهم

ملاحظات جيولوجية وزوولوجية

بعد ان ذكرنا في سياق الحديث اكتشافات الرحلة وجغرافية البلاد ونوع سكانها يجمل بنا ان نذكر ملاحظاتها فيما يختص بجيولوجية الاراضي التي مرّت بها وزوولوجيتها :

١ الملاحظات الجيولوجية

تكوين الارض من اديس ابابا الى بلاد التركانا مؤلف كله من صخور بركانية

الاصل منها الحُمَم والبزالت والجرار وغير ذلك ما خلا بعض المحلّات حيث سطح الارض اقدم من الاصل البركاني وهو مؤلف من الرخام المحبب (granulite) بهِ كثير من المواد الحثرية (schiste) . امّا المحلات الممتدة من بلاد التركوانا وبلاد كارامودجو فانّ ارضها كلها من الصوّان المحبّب المحض . وبين كارامودجو والنيل فالارض منحدرة كلها ومؤلفة من الصوّان مع كثير من قطع الكوارتز الكبيرة والمعادن الحديدية المعروفة باسم (magnétite و latérite) وهذه الاخيرة كثير منها على سطح هذا الارض وتُرى ملتصقة ببعضها بمادة جافّة حديدية ايضاً امّا الاولى فموجود منها بكثرة في قلب الارض وكمية الحديد فيها غزيرة حتى ان حدادي بعض تلك المحلات المتوحشة يصطنعون منها جملة ادوات كالرماح والخناجر وغير ذلك

اما الحفريات التي اجراها مهندسو البعثة في جهات بحيرة رودلف فقد اسفرت عن النتائج الآتية :

الطبقة الاولى رقيقة مؤلفة من الجص المبلور كتبلورات السكر (gypse saccharoïde)

الطبقة الثانية تراب رملي

الطبقة الثالثة رمل ابيض ملتصق ببعضه لكنه يتفتت بفرك اليد . امّا اسفل هذه الطبقة فانه صقل ناعم

الطبقة الرابعة رمل مختلط بمواد فخّارية بها كثير من المحار الكبير (huitres) واصداف صغيرة نظير البتوميد (ptomides) وغيرها . وهذه الطبقة تحتوي في بعض المحلات على قطع خشبية قد بدأ فيها فعل التفحّم

الطبقة الخامسة طبقة فخار رمادي سميك فيهِ انواع كثيرة من العظام المدفونة

وقد درس هؤلاء العلماء قطع العظام التي وجدوها فاسفرت نتائج فحصهم عن الملاحظات الآتية :

اولاً عظام اسماك قديمة (poissons téléostéens) — وجدوا منها كميات كثيرة كفقرات الظهر والاحساك وغير ذلك من العظام

ثانياً عظام انواع التمساح (crocodiliens) — وامكنهم ان يميّزوا بين هذه

العظام نوعين من التمساح احدها يقرب شبهاً من التمساح الحالي الموجود منهُ كثيرًا حيًا في تلك الانحاء. والنوع الثاني مجهول يمتاز بعظمة ظهره وهي ضخمة جدًا

ثالثاً عظام انواع من فصيلة ذوات الخفّ (solipèdes) — عرفوا منها ثلاثة انواع احدها يقرب من حمار الوحش الموجود منهُ حيًا في تلك الجهة

رابعاً عظام الحيوانات من رتبة الضخام الجلد (pachydermes) — عرفوا منها نوعين من الفيل أحدهما اكبر من الفيل الموجود منه حيًا والآخر كنوع فيل صغير لا يربو كبره عن متر واحد

خامساً عظام حيوان لا يوجد منه اليوم حيًا على سطح الكرة وهو كبير الجسم اسنانهُ تشبه اسنان الفيل غير ان النصال فيها اقل عددًا من اسنان الفيل

سادساً عظام حيوانات كثيرة من نوع فرس الماء

سابعاً عظام خمسة انواع من الخنازير (phacochères)

ثامناً عظام خمسة عشر نوعاً من الغزلان المعروفة من فصيلة الوعول (antilopes)

ولكن لم يعثر رجال البعثة على شيء من آثار الانسان وتقدمهِ في المدنية وادواتهِ حتى ان الصوَّان المنحوت (silex taillé) نادر جدًا في تلك الاصقاع

فيرى القارئ من هذه اللائحة المختصرة ان تلك الجهات الافريقية كانت غنية بنوع الحيوان في طور الخليقة الرابع ويستنتج من ذلك انهُ قد كان وقت غمر فيه البحر تلك الاراضي ثم انثنى عنها لاسباب جيولوجية بركانية وابقى دليلًا عليه الجص ذات التبلورات السكرية ثم اثرًا ظاهرًا من عظام الاسماك العظيمة ووجود بعض بلورات الجص المتبلور ثانيةً في الطبقتين الثانية والثالثة بين الرمل الترابي والابيض

٣ الملاحظات الزوولوجية

قسم هولاء الرحالون رحلتهم بخصوص علم الحيوان الى ثلاثة اقسام : الجهات الحبشية وجهات بحيرة رودلف وجهات النيل

(القسم الاول : الجهات الحبشية) نظرت البعثة في جبال الحبشة (بين ٢٠٢٠ و ٢٢٠٠ م) ما عدا الحيوانات المعروفة والداجنة الانواع الآتية اسماؤها :

النوع المدعو اوريبي الحبشة (Oribi d'Abyssinie) وانواع من الايل والجآذر

والغزلان والجواميس البرّية (١ وقطعان النعام والفهد والاسد والزرافة والزبّاد (civette)

امّا في جهات بحيرة عباي فانها رأت نوع الايل المسمى cervicapra arindinium ثم (kobus defassa)

ثم الوفا من الطيور المائية على ضفة البركة واشهرها الغوّاص الوردي والبلشون (flamant rose و aigrette) وفي الجبال التي تلي البحيرة وجدت ما عدا الغزلان والطيور الجميلة النادرة والحيوان المعروف باسم الخنزير الحبشي phacochærus (aethiopicus ونظرت في نهر الاوّاش وغيره من الانهر والبرك خيل الماء والحيوان الكلبي الرأس (cynocéphale) وبين الطيور الحبارى الكبيرة والصغيرة والدرّاج وبعض انواع الحجل الغريب

(القسم الثاني: جهات بحيرة رودلف) حيوانات هذه الجهة كثيرة واهمها نادر الوجود نظير الحيوان المسمى جاموس جكسون (bubale de Jackson) والنوع المعروف باسم تورا نيومان (tora de Neumann) والقرود من نوع الكولوبوس (colobus gouréza)

وبين بلاد التركوانا وكارامودجو يوجد نوع التوبي (topi) وهو المعروف باسم (damaliscus jimela) والزرافة والغزال المدعو oryx) beisa) وحمار الوحش ووحيد القرن والدگدك والدامان (daman) وبعض من انواع النمر الهرّي (chat-tigre) وكثير من الافاعي الضخمة والتمساح وفرس الماء.

(القسم الثالث: جهات النيل) يوجد غربي جبل تورور كثير من الفيلة ووحيد القرن والزرافة والنعام وجميع ما ذكر من حيوانات جهات بحيرة رودلف وزد على ذلك النوع المدعو (orcatragus saltator) الذي ذكرناه بين حيوانات القسم الاول وكذلك الزباد (civette)

ما على مقربة من النيل فيوجد الوعل (tragelaplus scriptus roualeini) و (Kobus ellipsiphrymus) والاسد والزباد وانواع كثيرة من القرود (انتهى)

---

١) وهذه اسماؤها العلمية Tragelaphus decoula; cervicapra bohor; orcatragus saltator; bubale de Swayne; strepciceros imberbis او coudou; tragelaphus Angasi او gademsa;

حادثة اسقف *

معرَّبة بقلم حضرة الخوري اسطفان البشعلاني

امسى المساء ونشر الشفق انواره الذهبية على حديقة غنـاء. قام في وسطها كوخ حقير قد اكتنفته الغابات واصناف الاشجار وألقت عليـه من ظلالها جلباباً تحجّب به حياء، واتضاعاً وكان كل ما حوله لطيفاً ظريفاً يدلّ على حب النظافة والترتيب ويميل بمن اعياه التعب من المسافرين الى الجلوس بقربه والتمتع بحسن مناظره مما لا يتيسّر وجوده في ذلك الصقع البعيد عن العمارة الآهل بقليل من السكّان. فاذا أعجب المسافر بتلك الظواهر الدالّة على سلامة الذوق ودقة للبناء. ومال لمشاهدة سكان ذلك المنزل طاب نفساً وقرّ عيناً برؤية فتيّة هي الان قد فتحت باب الكوخ وخرجت تنعش الروح باستنشاق نسيم المساء العليل

وكان جمال الفتاة يفوق ازهار الحديقة رونقاً ونضارة فلا يكاد الناقد المدقق يجـد خللاً في تقاطيع هيئتها ولا نقصاً في كمال صورتها ونور عينيها يحاكي نور النجوم بهاء واشراقاً. اما شعرها الرسيل فكان مرتباً على غاية ما يكون من السذاجة. وقد ارتدت على عادة اهل الهند بثوب ناصع البياض لا تشوبه كدرة دون ان تزيد عليه من الحلي ما ينقص من بساطة زينتها

وكانت قبل ذلك بسنتين قـد اعتنقت الدين الكاثوليكي ودُعيت باسم كارولين عند ما سُكب فوق جبينها ماء العماد المقدس. وفي الوقت ذاته اعتمدت والدتهـا التي كانت تخالف ابنتها خلقاً وطبعاً فهي سخيفة العقل ضعيفة الراي منحطة المدارك صفات كانت فيها وهي تتسكع في ظلام الوثنية واضاليلها لا تشارك ابنتها في شيء من النخوة والحميّة كأنها تبعتها منقادة اليها بحكم التقليد والتساهل

ومشت الفتاة في الحديقة حتى بلغت جدولاً في احد اطرافهـا قد رقّ ماؤه وراق

* هي قصة واقعية جرت لبعض الاساقفة وقد اهملنا ذكر اسمه طبقاً لرغبتـه من قبل ان يفارق الحياة. وهي قد وردت في المجلة الانكليزية «The Ave Maria» تحت عنوان «The Bishop's Adventure»

وهناك اخذت لها حجراً جعلتهُ الطبيعة على شكل الكرسي وجلست عليه وكان معها نسخة من العهد الجديد أتحفها بها المرشد الذي فتح عينيها لرؤية الحق فاخذتها وجعلت تقرأ واستغرقت في المطالعة حتى شُغلت عن ملاحظة الشفق وبهاء انواره وذُهلت عن اتقاء الغبار المتصاعد كالضباب من جادة الطريق وهو يباري غدير الماء جريًا على مسافة بضعة اميال

وتكاثف الغبار في الفضاء وقرب صوت وقع حوافر الخيل وما كان غير قليل حتى اقبل مقدَّم القافلة في اصحابه وعددهم خمسون راكبًا يوردون خيلهم ذلك الغدير وكان في وسط العصابة خمسة من كبار النبلة جعلت عليها هوادج مزيّنة بنفيس الثياب وقد ركب في افخرها الراجا (Rajah) وهو زعيمهم وكان اسمهُ باغار وهو رجل ظريف لا يتجاوز الخمسة وعشرين ربيعًا زاهرًا ولكن ظاهره ووقاره يجعلانهِ في اعين الناظر اكبر سنًّا

فحالما احسَّت كارولين بورود القافلة خفَّت الى شجرة كبيرة كانت هناك تحجُّبًا عن اعين الناظرين لكنَّ عين الراجا لحت للحال ثوبها الابيض وتجلَّى لديه جمالها العجيب فصوَّب سهام انظاره الحادَّة الى وجهها الباهي وقد اجفلت كالغزال النافر ثم ادارت وجهها وولَّت مدبرةً . امَّا هو فما خطا نحوها خطوة ولا كلَّمها بكلمة حتى اذا رأته ترل عن هودجهِ واعتلى صهوة فرس من الجياد المطهَّمة وتنحى عن اصحابه لم يداخلها ريب من جهته

وقفلت راجعةً من حيث اتت حتى صارت على مسافة غير قريبة من الجماعة وهي حانقة بعض الحنق على من اقلق راحتها في تلك العزلة . وعند ما بلغت الكوخ شكت ما نالها من الرعب وما شعرت به بعد ذلك الى والدتها التي اضطربت لهذا الخبر واثَّر فيها تاثيرًا حملها على الخروج من فورها من الغرفة . فاضحت الفتاة اسيرة الهواجس والاوهام ثم طردت من ذهنها كل فكر يتعلق بهذا الحادث وقامت الى اعداد طعام العشاء ريثما تعود أُمها

. . . . . .

بعد مرور ثلاثة اشهر على الحادث المذكور كان يسير على الطريق العظمى عصابة

صغيرة يتقدّمها زعيم يُعرف عند اهل تلك النواحي « بالحبر الصالح » لما رأوا من جميل فضائله التي حبّبته الى الناس طرًّا وقد ركب في طليعة العصابة فيلًا من الافيال. وكان هذا الحبر صالحًا وكبيرًا معًا جمع بين شرف النسب وشرف الاخلاق عظيمًا بسعة معارفه وسمو مداركه. واعظم منه بتواضعه الذي حمله على ان يضرب في البلاد ويطوي البوادي والقفار لينشد النفوس المتوغلة في الهمجية والجهل فيقودها الى معرفة الاله الحقيقي فكأنه وقد نسي قومه وعشيرته الذين خيّم فوقهم العمران وتوفّرت بينهم اسباب الحضارة والتمدن فجاء يواصل رسالة الرحمة ويتمّ مهمة الشفقة والاحسان الامر الذي هو اقصى رغائبه ومنتهى امانيه فوقف النفس على اقوام غرباء يتفانى في خدمتهم حتى اصبح محبوبًا عندهم مرعيّ الحرمة اينما نزل

فحالما صارت هذه القافلة الصغيرة قريبة من العيان واذا برهط من الفرسان كانوا يتعقّبون آثارها بسرعة شديدة قد وصلوا اليها ونادى مقدَّمهم بالحبر الصالح قائلًا: « لقد جئناك ياسيدي من عند امرأة تتقلّب على فراش الموت وهي تستدعيك الى الذهاب اليها لما عرفت فيك من المحبة لله وللقريب وحالها تُنذر بالجنون العاجل من جرّاء سمّ حملها هولُه على اخذ السم ولا تستطيع سبيلًا الى انشائه الّا اليك وحدك فاقبل رجاك الله رجاءها وهلم الى منزلها الذي هو على قيد اربعين ميلًا من هنا »

لا ريب ان وقوع نفس واحدة في تهلكة كان وحده اكبر داع لالتفات الحبر الغيور واستنهاض همته فما كان غير مسافة الطريق حتى بلغ منزل المرأة المنكوبة المفتقرة الى المداواة وبعد ان صرفت عنها الحضور ترامت على قدمي الاسقف وصاحت: « رحماك يامولاي ان ذنبي لعظيم حتى لم اعد اطيق معه حمل تعاستي وشقائي فما لمثلي سلام في هذا العالم ولا عفو في العالم الآتي وانما الامل بانك لن تأبى مساعدتي هو الذي حملني على اخذ الترياق دفعًا لمفعول السم الناقع الذي تجرّعته منذ قليل والّا ان كنتَ تأبى الاخذ بناصري عجّلت اجلي بنهلة من هذه الكأس تنجز على حياتي التعسة فبذلني ان كنت تحب الله بان لا ترد طلبتي او تتركني اموت في الخطيئة والشقاء »

فاجاب الاسقف: « انك تعلمين يابنتي بانني اذا كنت استطيع مساعدتك بما لا يمسّ الذمّة او يخالف الضمير فلن اتأخر عن ذلك ابدًا فافتحي الآن قلبك واكشفي لي

عن مكنونات صدركِ واعلمي ان رحمة العلي تفوق عظم اعماله العجيبة وليس ذنباً وان عظم الاَّ ويُمحى بالتوبة »

ولكن لم تكن المرأة الهندية تريد التكلم عن توبة ولا غفران فقالت: « ما حملني يامولاي على استدعائك الّا انقاذ من كانت ضحيّة ذنبي ألا وهي ابنتي وفلذة كبدي لتنجيها من البلاء بل من الموت الذي جلبته عليها. وتفصيل الخبر هو انَّ اميرًا هنديًّا مرَّ بهذه الناحية منذ ثلاثة اشهر فبصر بالابنة وهو يورد خيله الماء فاستهواه حسنها على ان يجري الى كوخي فخدعني بثمين الجواهر والحلي وبهرني بلامع الذهب فبادلته كنزًا بكنزٍ. وفي عشية اليوم الثاني خرجت بحسب المعاهدة الى النزهة مع كارولين وما بلغنا اجمة منفردة حتى وافانا الراجا فيمن معه فخطفوا الفتاة وانصرفوا بها وليس فيهم من يشفق ولا من يرحم وما زلتُ اراقبهم حتى غابوا عن عيني وانا قابضة على كيس الذهب والحلي التي غرَّوني بها فشعرت اذ ذاك كأنَّ شيطان المال الخنَّاس يوسوس في صدري ساخرًا: أحكمي يا هذه شدَّ الكيس واحرصي عليه اشدَّ الحرص فانه ثمن نفسك الخالدة »

وكان وجه الاسقف في اثناء هذا الحديث يكلح شيئًا فشيئًا وذكر اسم كارولين استوقف خاطره وعرف ان من وقعت في ايدي الهنود هي التي نالت نعمة التنصير على يده. فوقف هنيهة وقد ملكت عليه مشاعره واعتراه الرعب والذهول لهول تلك الصورة المريعة التي وضعتها امام عينيه الام الشقية التي كاد يضنيها البكاء وتخنقها الزفرات. ولكنه ما لبث ان ثاب الى انتباهه وسكونه المعتاد والتفت الى المرأة بشاشته ولطفه يلطِّف احزانها ويخفِّف اشجانها ويسكن ما جاش في صدرها من التأثر الشديد ثم جعل يبثّ في قلبها عواطف الانسحاق الصادق والرجاء الوطيد بالعفو عن شنيع فعلها اذا تابت توبةً نصوحًا. وهكذا فانه لم يفارقها حتى طرحت نفسها عند قدمي يسوع وتسلَّى فؤادها اذ وعدها الاسقف بان يبذل جهد المستطاع في انقاذ كارولين من نكبة لم تسلم هي من تبعتها وسوء عقباها وصارت تستلزم منتهى عنايته واقصى اهتمامه

وكانت مدينة الراجا باغار على مسافة مائة وخمسين ميلًا من هناك فاول عمل باشره الحبر الصالح انه وجَّه اليه كتابًا رقيقًا يستأذنه في اجتياز ارض ولايته ثم انطلق حتى سار الى حدود ملك الراجا حيث توفَّق الى وجود صديق حميم من قدماء معارفه فاقام عنده يتوقع جواب كتابه

ثم اتاه الجواب وهو يشفُّ عن اريحية الراجا وكرمهِ مما تجاوز حدَّ المأمول اذ دعاه لقضاء بضعة ايام في بلاطه. ولمّا كان الامر يقتضي الحزم والحذر كلّف الاسقف صديقهُ قبل مفارقته ان يعدَّ لهُ خيلًا مسوَّمة سريعة الجري ربما اضطرَّ اليها فيما لو الجأته الطوارئ الى الهرب والتعجيل

وقد قوبل في بلاط الراجا بالايناس والاكرام كما يليق بعظماء الناس وقضى ذلك النهار يتفرَّج في دار التحف العجيبة المشتملة على كثير من النقوش النفيسة والرسوم المزخرفة التي رُسمت على اسلوب يحاكي بديع التصاوير والرسوم. ثم جاء الليل وارخى سدوله والاسقف لم يفكر في شيء مما جاء لاجلهِ. وعند ما اوى الى غرفته دخل عليه عبد عيَّنهُ الراجا غلامًا خاصًا لخدمتهِ وكان من الاغراق في دينهِ الوثني والغلوّ فيه بحيث استدل الاسقف من اول محاطبته له انه شديد التعصب في الوثنيّة فخطر لهُ خاطر عده بعد ذلك منّةً آتاه الله بها مقابلةً لصلواته وتضرعاته الكثيرة واذ اهتدى الى قصده قال: اراك ياصاح تكثر من ذكر دينك مما يدل على استمساكك به وإخلاصك فيه فقُلْ لي رعاك الله ما رأيك في النصرانية والنصارى ؟

اجاب العبد بوقاحة: انهم قوم حمقى اذ يعبدون رجلًا خاملًا قتلته أمتهُ صلبًا

قال الاسقف: اذا كان رأيك هذا في النصراني فما قولك في من يتّخذ فتاة نصرانية حليلة لهُ ؟ قال: انه لاكبر لئيم. قال الاسقف: اريد الان مكاشفتك بامر يمكنك فيه ان تحرّر احد رجال امتك من قيود ذنب عظيم واني ارى على هذه المنضدة كتاب اصول دينكم فهاته اليَّ. فاطاع العبد واستطرد الاسقف الكلام قائلًا: ضع يدك على هذا الكتاب واقسم بان ما أُسرّ به اليك لا يعلم به بشر. فقال العبد: اقسمتُ بالكتاب..

قال الاسقف ان الرجل الذي اتكلم عنه انما هو سيدك الراجا باغار فان اعزَّ حُرُمهِ فتاة نصرانية قد اختطفها عن اهلها فكيف يرضى الحكم عن هذا العمل وهل تهبُّ نسماتهُ فوق ارض يحدث فيها مثل هذا الشر. واذ همَّ ان يفشي اليه سر مقاصده وما ينوي فعله احتدم العبد غيظًا وقال: والله اني لأساعدك على بلوغ امنيَّتك ولو ألجئت الى امتشاق الحسام وكلفني ذلك اهراق الدماء.. ثم نهض وهو يرغي ويزبد وقال: ساشرع في العمل غدًا وفي غدٍ ترى العجائب والاهوال

وكان النهار التالي على الاسقف اطول من يوم الجوع حتى لم يَرُقْ له شيءٌ من المظاهر

البهجة ولم يحفل باسباب السرور على توفرها لديه في ذلك القصر البهيج الحافل بانواع المسرات والافراح اذ لم يستفد من ذلك كله شيئاً يتعلق بالغرض الذي اتى له

وما صدّق ان جاء الليل حتى اقبل اليه العبد وسماتُ الابتهاج بادية على محياه فبادهه الاسقف قائلاً: ما وراءك ياعبد الخير؟ قال: « لقد توفقت الى وجود صديق مخلص بين الخصيان الذي يحرسون الحريم فاخبرني ان الفتاة النصرانية تؤثر الموت على الحياة في مثل هذه الحال وان الراجا بالرغم عن نفورها واباتها يلاطفها ويعاملها بالحسنى املاً ان يحملها ذلك على الخضوع له والانقياد لرغائبه وعليه فالرأي عندي ان تتنكر وتتزيا بزيّ الخصيان وانا قد اعددت لك مفتاحاً يتسنّى لك بواسطته الدخول الى جنينة صغيرة قد اعتادت الفتاة ان تتنزه فيها وبذلك يتهيأ لك مكالمتها »

ثم ان الاسقف تنكّر على النحو الذي اشار به العبد وما زال يتبعه حتى افضى بهما السير الى خارج الابواب وطلب اليه ان يقف غير بعيد حتى اذا طرأ ما يدعو الى المساعدة تهيأ له ذلك ثم تقدم وهو على حذر من لقاء الحرّاس حتى دنا من الباب. فانتقد المفتاح فاذا هو غير المفتاح المطلوب فحاول خلع الباب فلم يتهيأ له. فاستولى عليه الرعب وخشي ان يكون العبد قد غرّر به وخانه ورجع اخيراً الى الموضع الذي تركهُ فيه فوجده بانتظاره واستدلّ من لوائح وجهه ودلائل الدهش والتعجب من رجوعه ما ابعد كل ريبة من جهته. وكان أنَّ الخصيَّ على تسرُّعه اخذ غير المفتاح المقصود

وفي ليل الغد قام الاسقف واخذ المفتاح الحقيقي وما كاد يفتح الباب ويدخل حتى رأى نفسهُ في حديقة غنّاء لم يقع بصره على مثلها

وكان الليل هادئاً لا يُسمع فيه غير تهويم النسيم كأنهُ يهمس في آذان الليل أسراراً لا يدركها الا افئدة الشعراء وذوو المشاعر الرقيقة. ثم طلع القمر على هودج من نور وقد صفا الجو واعتدل الهواء وسكنت الطبيعة تهيّباً واجلالاً له فتكلّلت هامات الاشجار المتهدلة الثمار بتيجانٍ من لجين انواره وانعكست اشعته الفضية على مرآة المياه التي كانت تنساب في تلك الشعاب ثم تنحدر فيسمع لخريرها صوت شجي يؤثر في قلب الخائف المتحذر. ثم مرَّ النسيم وقد تعطّر بشذا النباتات العطرة ونفحات الازهار النادرة يشرح الصدر ويطيّب القلب ويدفع الهم والاشجان فتضوّعت نسماتهُ في ارجاء قصر شاهق فخيم البنيان هو حَرَم نساء الراجا قد قام على اعمدة من الفسيفساء ورُصعت ابوابهُ

وجدرانهُ بالعاج والمرجان حتى اصبح هيكل جمال وآية حسن وكمال وكادت هذه المناظر الشائقة لولا حرمة الرقاد وهيبة الليل تستفزُّ الطير بحسنها فتنبعث من وكناتها وتنم باسرار مَن وقف مبهوتاً امام مشهدها الهيب حتى ذهل عن حرج موقفهِ والغرض الذي جاء من اجلهِ

ثم حانت منهُ التفاتة فرأى صورة امرأة جالسة على بساط من الخضرة وقد اطرقت براسها الى الارض فوقف يتأملها فعرفها وقد كاد لولا قليل ينكرها لشدة نحولها فناداها: ياكارولين. فذُعرت ورفعت راسها متحيرة لانها من زمن طويل لم يطرق هذا الاسم مسمعها والتفتت الى الاسقف وهو في ذلك الزيّ الغريب الذي تنكّر بهِ وقالت: من انت يامن يناديني بهذا الاسم. فناداها ثانيةً: ياكارولين انا ابوك الاسقف وقد اتيت لانقاذك وتخليصك من هذا المكان. قال هذا ودنا منها فهمّت بمجاوبتهِ ولكنها ما لبثت ان وقعت عند قدميهِ مغشيًا عليها. فخاف الاسقف وخشي ان يدهمهُ طارئ يحول دون اتمام عملهِ فخفَّ الى غديرٍ كان هناك وملأ قبعتهُ ماء ورفع الفتاة عن الارض ورشّها بالماء فاستفاقت من غشيتها ثم ترامت على قدميهِ وهتفت: اواه ياسيدي اني استحلفك باسم مَن حملك على تجشم هذه المشقة ان تعجل في الذهاب من هذا المكان المحفوف بالمخاطر فان الموقف حرجٌ ولا فائدة من نجاتي والموت يرفرف بجناحيهِ فوق راسي وشمسُ حياتي على وشك الزوال

اما الاسقف فثبت غير هيّاب ولا وَجِل واخذ يشدّد عزائم الفتاة ويبيّن لها وطيد اعتقاده بان العناية الالهية قد ارسلتهُ لانقاذها. وهكذا اقنعها بقوة اقوالهِ الراهنة وحججهِ الباهرة وهدأ روعها بلطفهِ وأنس حديثهِ واحيا فيها بجميل مواعيده ميت الرجاء. ومما قالهُ لها: «ان ما نزل بك يا ابنتي من الذل ولحقك من العار لا يدنّس عرضك ولا يمسُّ شرف مستقبلك فمثلك مثل الذهب الذي يُمحص بالنار والله سوف يقيض لك ديرًا من اديرة ذوات الطهارة والزهد اللواتي يقبلنك بالايناس والترحاب وهناك تقضين بقية ايامك بعيدةً عن ضوضاء العالم تتمتعين في ذلك الفضاء الرحيب والاماكن النقية بالراحة والسلام»

ولما كان يشقُّ على الفتاة الهرب تلك الليلة واضحى الوصول الى مينا الامان امرًا عزيز المنال صار تأجيل ذلك الى الغد. ثم ان الاسقف بيّن للفتاة ما يقصد عملهُ لتكون على بيّنة من

الامر وهو ان الخدي الذي اتاه بثوب التنكر يأتيها في عشية غدٍ بثوب مثلهِ ويساعدها على تسلق السور وهناك جدول من الماء عليهـا ان تترك على ضفتهِ ثيابها المعروفة عند اهل القصر ايهاماً لهم بانها رمت بنفسها في المياه وبعد ان ودَّعها واودعها لحراسة يسوع وحماية والدتهِ المباركة باركها وانصرف

وطالت اقامتهُ في القصر فوق الاجل المضروب الى حدّ ان اصبح الراجا متكرّهاً منهُ لكنهُ كان مضطراً بحكم الظروف الى البقاء . برماً اخو وما انبأ مُضيفهُ بقرب رحيلهِ حتى غدا راضياً ممتناً . ثم قام عند المساء يريد الخروج وقد شيعهُ حرَس الراجا كما استقبلوه حتى صار على مسافة من القصر وانقلبوا راجعين . اما هو فعرّج في طريقهِ على أجمة كثيفة الاشجار كان ينتظره فيها اصحابهُ ثم اقاموا جميعاً يتوقعون إقبال الليل وما كادت العلامة المعهودة تبدو من ناحية الفتـاة حتى اسرعوا الى مساعدتها في النزول من على السور وبعد العناء الشديد احتملوها الى الارض وهي لا تعي لشدة جزعها ونحولهـا . فاعطاها الاسقف شيئاً من المنعشات فانتبهت وثابت الى رشدها ومن ثمَّ استاذن العبدَ في الانصراف بعد ما شكره على معروفهِ وحسن صنيعهِ

وكانت حالة كارولين من الضعف والانحطاط بحيث لم يتأتَّ لهما الاسراع في السير واضطرَّا الى الاقامة يوماً في بيت الصديق الذي استضافهُ الاسقف سابقاً وهكذا بعد مشقَّات وصعوبات جمّة بلغا الكوخ الذي خرجت منهُ الفتاة الطاهرة الذيل بطمع والدتها

بيدَ ان كارولين لم توجه اقل تعنيف او ملامة نحو والدتها التي باعتها للعبودية بيعاً دونهُ الموت الزؤام وكان يخيَّل للفتاة ان ابواب الفردوس مفتوحة وقد اطلّت منها على نعيم وغبطة ينسيانها بؤس الدنيا ومشقاتها وعرفت ان اليد التي قدّرت لهـا الاسر هي التي فكّتها وحطمتها تحطيماً

ومن لي بوصف حالة تلك الام التائبة وكرب قلبها ونحس ضميرها المؤلم فعبثاً كانت تجتهد في ارجاع العـافية والنضارة الى ذلك القوام الذي اعتراه الذبول واعادة الرونق والجمال الى تلك الصورة المشَّـة لان حبل حياة ابنتها العزيزة صار الى الانصرام فقرب احتلال أجلها فتنبَّه الاسقف لذلك وأجّل سفره الى اليوم الثاني

وعاد الشفق فمدَّ رواقهُ ثانيةً فوق ذيَّاك الوادي الجميل فاختفى الكوخ تحت ستار

من ظلال الاشجار وطارت منهُ نفس كارولين الى مقرّ الابرار وهي مسأجة ومنتعشة بالاسرار الدينية الاخيرة من يد ابيها بل منقذها وصديقها الصدوق

وما برح هذا الحبر المفضال يحفظ في صدره لهذا الحادث الذي نُقل عن لسانهِ احسن تذكار يبقى جديداً ما تقادم عهده حتى انهُ بعد ما كملت مهمتهُ الدينية واقصتهُ النوى عن بلاد جرت فيها هذه المشاهد المحزنة كان يردّد وهو متأثر بمأساة كارولين الهندية المتنصرة

ميكروب الحُمّى الصفراء والمقتطف

نبذة للاديب لطف الله لطفي المعاون في المستشفى الافرنسيّ

قرأنا في العدد الخامس من السنة الحاليّة لمجلّة المقتطف (مايو ١٩٠٤ ص ٤٦١) ما حرفهُ :

« اكتُشف ميكروب الحمَّى الصفراء وهو جرثومة من نوع البروتوزون مثل جرثومة الملاريا والناقل لها من المريض الى السليم نوع من البعوض اسمهُ العلميّ ستغوميا فاشياتا »

فأخذنا العجب من هذا الخبر الذي نترصدهُ منذ زمن مديد ونتمنَّى صحّتهُ لشفاء الوف من البشر يذهبون كلّ سنة ضحيّة هذا الداء العياء . ولكن فات كاتب هذه الاسطر ان يدلّنا على السند الذي اعتمد عليهِ في رواية هذا الاكتشاف المهمّ فراجعنا المجلّات الطبيَّة العديدة التي تتوارد كلّ يوم الى المكتب الطبّي الافرنسيّ لعلّنا نجد فيها تحقيق امانينا فذهبت مساعينا أدراج الرياح كما انّ اساتذتنا الافاضل مع كثرة مطالعاتهم وتعدّد مراسلاتهم لم يبلغهم حتّى الآن شيء مقرّر عن هذا الاكتشاف العظيم بل لديهم على خلاف ذلك ما ينكرهُ صريحاً الى غاية الشهر المنصرم . فان كان للمقتطف اعلامات خاصّة فنؤمّل من لطفهِ ألّا يضنّ بها علينا ونسلفهُ الشكر العميم

وفي هذه النبذة قد رأيت ان اختصر لقرّاء المشرق ما ثبت لدى العلماء في صدد ميكروب الحمّى الصفراويّة . منذ السنة ١٨٨١ كان احد اطبّاء هاقانا الدكتور فِنْلاي (Finlay) ارتأى ان البعوض هو الناقل للحمّى الصفراويّة . ألّا انّ رأيهُ لم يشع حينئذٍ بين الاطبّاء . حتّى قام الدكتور سناريلي فزعم انّهُ اكتشف جرثومة الداء فاسرع العلماء واجروا

الاختبارات المتعدّدة فوجدوا انَّ الخبر فارغ من الصحَّة لا سند لهُ سوى مخيَّلة صاحبه

فبقي الامر على حالتهِ الى هذه السنين الاخيرة اذ عاد الاطبَّاء الى البحث عن سبب تلك العدوى الفاتكة . وذلك ان الحمَّى الصفراويَّة فشت بين اهل السنغال في نيسان من سنة ١٩٠٠ فكان فشوُّها ضربةً لازبة على تجارة تلك المستعمرة فجعل ارباب الطبّ يضاعفون مساعيهم في معالجة هذا الداء . فلمَّا كان شهر شباط من العام المقبل اعلنت اللجنة الطبيَّة الاميركية في هافانا انها وقفت على جرثومة الداء وانَّ ميكروب الحمَّى الصفراويَّة موجود في دم المحمومين امَّا نَاقلهُ الى الانسان السليم فهو بعوض خصوصيّ

قال الدكتور رو (Roux) تلميذ باستور الشهير في نشرة مكتب باستور الصادرة في تشرين الثاني من السنة المنصرمة : "كان لهذا النبأ وقع عظيم فاسرعنا الى تحقيق صحَّته حتَّى اذا صدق اتخذنا لدفع العدوّ ما تطلبهُ الظروف من الاحتياطات وعدلنا عن الطريقة الشائعة في علاج الحمَّى الصفراء"

وللحال طلبت اللجنة الموكلة بصحَّة المستعمرات ووكلاء السنغال من الحكومة الفرنسويَّة بان ترسل الى ريو دي جانيرو بعثة طبيَّة لدرس الحمَّى الصفراويَّة . فاجابت الحكومة الى طلبهم واسرع وزير المستعمرات الى تشكيل لجنة جعلها تحت نظارة مكتب باستور ووكل امرها الى ثلاثة من نُطس الاطبَّاء الضليعين بالعلوم الميكروبيَّة هذه اسماؤهم : مرشو (Marchoux) وساليمبني (Salimbeni) وسيمون (Simon) وساعدهم في تتميم مهمَّتهم قوم من اهل الفضل كالمسيو اوسفالد كروز ناظر الصحَّة العموميَّة في البرازيل والمسيو كلوس سيدل (Seidl) متولّي مستشفى سان سبستيان وغيرهما من الاطبَّاء.

فقام كلهم احسن قيام بما عُهد اليهم من المهامّ وكرَّروا مدَّة اسابيع متوالية الاختبارات العديدة لم يثبطهم في عملهم شيء من الاتعاب فكانت نتيجة ابحاثهم كما يلي :

١ انَّ جرثومة الداء تمزج بالدم فتسري فيهِ منذ اليوم الثالث لظهور اعراض المرض

٢ انَّ الحمَّى الصفراء يُمكن نقلها بالتلقيح ويكون انتقالها الى الانسان بلسع

بعوض يُدعى ستيغوميا فاشياتا (Stegomya fasciata) (والبعثة الفرنسويّة قد خصَّصت فصولاً كثيرة لدرس هذا البعوض وطبائعهِ والاحوال الملائمة لانتشارهِ وشروط توفرهِ وملاشاتهِ وكيفية نشرهِ للداء والوسائل لردّ غاراتهِ)

٣ً افضل طريقة لدفع الداء اتلاف البعوض المذكور

٤ً جرثومة الداء هي في الدم بلا ريب وانما هي غير منظورة كجرثومة السيفيليس ومن ثمَّ لا يمكن تعريف خواصها الطبيعية كيفيتها واقيستها لانها مجهولة تماماً

وقد ختمت البعثة كلامها بما تعريبهُ : « اننا لم نستطع البتة حتى الآن رغماً عن كلّ مساعينا ان نفرز لا في دم المرضى ولا في البعوض ما هو العامل الناقل للحُمّى الصفراء »

فهذا آخر ما بلغنا من امر الحمّى الصفراء. وناقلها فعسى ارباب العلم يتوفّقون الى معرفة جرثومة الداء كما عرفوا ناقلهُ فيخدمون الانسانيّة خدمةً مذكورة مشكورة مكرّرين الطلب من مجلّة المقتطف ان تزيدنا علماً اذا ما بلغها شيء جديد من هذا القبيل

مطبوعات شرقية جديدة

Catologue of the Syriac Manuscripts in the library of the University of Cambridge; by the late W. Wright. *LL. D. Cambridge*, 1901, 2 vols. pp. XXVIII — 1290.

قائمة المخطوطات السريانيّة في مكتبة كليّة كمبريج

للمرحوم وليم رَيت شهرة عظيمة احرزها لنفسهِ بين المستشرقين خصوصاً بسعة معارفهِ السريانيّة وكثرة ما نشرهُ من مآثرها الادبيّة والتاريخيّة من جملتها قائمة المخطوطات السريانيّة في المتحف البريطاني في ثلاثة مجلّدات ضخمة يستقي من مواردها كلّ العلماء لعميم فوائدها . وكانت كليّة كمبريج استخدمت هذا الرجل الفاضل لوصف مخطوطاتها السريانيّة والكلدانيّة التي تستحقّ اعتبار العلماء وان لم تبلغ بذلك شأو المتحف البريطاني فلبّى رَيت دعوة الكليّة ووصف هذه المخطوطات وصفاً حسناً حال الموت دون اتمامهِ فقام من بعدهِ احد اساتذة كمبريج العلّامة ستانلي ارثور كووك

(Stanley Arthur Cook) فاتمّ ما نقص من عمل سلفهِ ووقف على طبع الكتاب ·
ولهُ مقدّمة مستجادة افاد فيهـا عن تاريخ المكتبة والمخطوطات السريانية منذ اواسط القرن السابع عشر الى يومنا مع تعريف مشاهير الأُدباء الذين أغنوا المكتبة بهذه الكنوز الفريدة وذكر المصادر التي منها نُقلت فانّ البعض منها وُجد في بلاد سوريَّة وما بين النهرين وادبار كردستان والعراق وبعضها نُقل من الهند من عند سريانها المعروفين بنصارى مار توما وهي مكتوبة بالحرف السرياني الغربي وبالحرف الكلداني الشرقي · ومنها ما كُتب بالخطّ السطرنجيلي القديم · وبين هذه المخطوطات كتب عربيَّة خُطَّت بالحرف السرياني في جملتها بعض التواريخ والكتب الليتورجيَّة · وممَّا يفيد تاريخ بلادنا كتاب اسفار الاسرار (ص ٧٥٤) لصليبا بن يوحنّا الموصلي كُتب سنة ١٣٣٢ م وذكر فيهِ بدع الشرق وطوائفها كالسريان والنساطرة · وخصّ الموارنة بالذكر في الصفحة ١١٣ ومن تبعهم قال: «واكثر من تبعهُ (اي مارون غير الناسك وجعلهُ في ايّام موريقي) اهل كفرطاب واهل مدينة حماة وبسري (بشرّي) والعواصم وكثيرين من الروم ··· فلما مات (اي مارون) بنوا لهُ اهل مدينة حماة دير وسمّوهُ على اسمهِ دير مارون وقوي امرهم بالملك هرقل» ل · ش

Ursemitische Religion im Volksleben des heutigen Orients, von S. I. Curtiss, *Leipzig, Hinrichs*, XXX-378, in-8, *illustr.* 1903

الديانة الساميَّة الاصليَّة في المعيشة الشرقيَّة الحاليَّة

مؤلف هذا الكتاب احد البروتستانت الاميركيين وهو قد طاف مرارًا بلاد سوريَّة وفلسطين ليدرس عادات الشرقيين واديانهم · ولهُ في هذا المعنى تآليف متعددة لكنَّهُ لم يتَّسع فيها كاتساعهِ في الكتاب الذي نحن بصددهِ فجمع ما امكنهُ من الأَحداث التي مدارها على المناسك الدينيَّة · وكان نشرهُ اوَّلًا بالانكليزيَّة (Primitive semitic religion of to-day, 1902) ثمَّ نقلهُ الى الالمانية وزاد فيـهِ ووكل الى المسيو بودِيسين (V. Baudissin) احد علماء الالمان الذين يحسنون معرفة الديانات القديمة في سوريَّة وفينيقية بان يصدّرهُ بمقدَّمة · وفي آخر الكتاب خارطتان غليظتا العمل وفهرس متقن — وممَّا لا ينكر ان المسيو كورتيس اكثر من الشواهد الدالَّة على انَّ كثيرًا من الخرافات لا تزال شائعة الى يومنا بين الشعوب الشرقية وكان العلماء يعرفون منها قسمًا

اما القسم الآخر فحصل عليه المؤلف ببحثهِ على انَّهُ لم يقنعنا بانَّ ما وجدهُ في النادر ام في بعض الامكنة يجوز اطلاقهُ على العموم . وغاية المولف من هذا الكتاب ان يبيّن انَّ الخرافات الجارية اليوم في الشرق ليست الَّا بقايا الاديان الوثنيـة القديمة وخصوصاً التعبُّد لبعال وعشتاروت وانَّ البحث عن هذه العـادات يؤدي الى معرفة الاديان السابقة . ولو سلَّمنا للمؤلف انَّ هذا صحيح نظريًّا فلا نعلم كيف يثبتهُ في كلّ الاحداث التي ذكرهـا ولذلك تراهُ كما لحظ المسيو بوديسين يبالغ في رواياتهِ او يحملها على الظنّ والحدس اذ لم يسمح لهُ قصر الوقت بان يدقّق في البحث ولو راجع بعض المرسلين الكاثوليكيين لافادوهُ علماً في امور كثيرة . وممَّا نأخذه على المؤلف اصغاؤُهُ الى الشتائم والمثـالب التي سمعها في حقّ الاكليروس الشرقيّ . وهو لا محالة مخدوع في ظنّهِ (ص٢٩١) بان الاصلاح الموهوم شفا ءكلّ هذه الخرافات

L'abbé J. Turmel : Histoire de la Théologie positive depuis l'origine jusqu'au Concile de Trente. *Paris, Beauchesne et Cie*, 1904, 8°. p p. XI—510

تاريخ اللاهوت الوضعيّ منذ اصلهِ الى زمن المجمع التريدنتيّ

لا خفاء انَّ معلمي اللاهوت في مكتب باريس الكاثوليكيّ قد اجمعوا الرأي في نشر « مكتبة لاهوتية تاريخية » لسدّ خللٍ في تعليم اللاهوت عند الكاثوليك . وهذا الكتاب احد بواكير هذا المجموع . وهو يُقسم الى كتابين يتضمَّن اولهما تاريخ اللاهوت الوضعيّ منذ بدء النصرانية الى عهد كارلوس الكبير والثاني منهُ الى ايَّام المجمع التريدنتيّ وكلّ كتاب على قسمين يُبحث فيهما عن لاهوت الاسفار المقدَّسة ثمَّ لاهوت الاباء . وفي كلّ قسم فصول تشمل العقائد اللاهوتية الاوَّلية اعني : الله تعالى وصفاته ثمَّ المسيح ثم الروح القدس ثمَّ العذراء مريم ثمَّ الخليقة وما يلحق بها ثمَّ النعمة ثمَّ الاسرار ثمَّ الكنيسة الخ . وكلّ ذلك مشروح شرحاً شافياً على غاية الوضوح وفي اخرهِ من الفهارس ما يسهّل البحث ويقرّب التفتيش . ولسنا لنقول انَّ هذا التأليف بلغ قصوى الكمال ولعلَّ البعض يجدون فيهِ بعض الخلل لا سيَّما بخصوص تعاليم الكنائس الشرقية لكنهُ مع هذا غاية في الفائدة لكلّ الاساتذة الذين يحبُّون درس التاريخ واللاهوت الوضعيّ ونخصُّ خصوصاً طلبة اللاهوت وكهنة بلادنا على اقتنائهِ فانَّ ثمنهُ زهيد بالنسبة الى فوائدهِ

ΘΗΣΑΥΡΟΣ ΤΗΣ ΟΡΘΟΔΟΞΙΑΣ

Die Bekenntnisse der griechisch-orientalischen Kirche v. Dr Jon. Michalcescu, *Leipzig, Hinrichs*, pp. 315. 8°, 1904

كنز الاورثذكسيّة

المستر ميكالشكو يعلّم في كلية بقرش اللاهوت الاورثذكسيّ بعد ان درس في المانية ونال فيها شهادة الملفنة بالفلسفة . وقد باشر بنشر هذا الكتاب باليونانية راغباً منهُ افادة العلماء الساعين بدرس الاديان فاودعهُ ملخّص عقائد الكنيسة الاورثذكسية وشفعهُ ببعض الملاحظات في اللغة الالمانية وهو يشابهُ في موضوعهِ كتاب دِ نيتنغر الكاثوليكيّ المعنون « خلاصة العقائد والتحديدات » . وليس لنا ان نبدي هنا الحكم في موادّ هذا الكنز وغاية الذين تولّوا تنظيمهُ مع ما فيهِ من الغثّ والسمين . وممّا يحتويهِ قوانين المجامع السبعة من السنة ٣٢٥ الى ٧٨٧ ودستور ايمان البطريرك جناديوس ١٤٥٣ —١٤٥٩ ودستور مجمع اورشليم (١٦٧٢) ودوسيتاوس الى غير ذلك . والكتاب حسن الطبع والتنقيح نوصي بهِ كلَّ من يدرس الديانة الاورثذكسية وتعاليمها منذ الاعصار السالفة الى يومنا

الاب س . رتزڤال

Opuscules du Dr Georg Jacob,
Professeur à l'Université d'Erlangen

قد استلفت الدكتور جرج جاكوب انظار العلماء اليهِ في هذه السنين الاخيرة بما صنّفهُ عن شعراء العرب في الجاهليّة مبيّناً ما يُستخلص من آثارهم من الفوائد التاريخيّة . ومن تآليفهِ كتاب دعاهُ « معيشة اهل البدو سالفاً » جمع فيهِ كلَّ ما يختصّ بحياة اهل البادية قبل الهجرة ممّا وجدهُ في اشعارهم القديمة — ومن تآليفهِ ايضاً كتابٌ غريب في بابهِ طُبع حديثاً طبعة ثانية دعاهُ : « الملاعب الظلّية وانتقالها من الشرق الى الغرب » بيّن فيهِ انَّ هذه الألعاب الظريفة انّما تخترعها الشرقيّون اخذها عنهم اهل الغرب ودلَّ على عدّة كُتب وردت فيها بيان الامر — ولهُ ايضاً خطبة مستجادة عنوانها « التمدّن الغربيّ في الشرق » نقلت حالاً الى الانكليزيّة مدارها على نفوذ الشرق في اديان اهل الغرب وعلومهم وصنائعهم (١ ولعلَّ مجلّة المشرق تختار منها نُبذاً فتزيد عليها وتتمّمها .

١) راجع المجلّة Smithsonian Reprt for 1902 p. 509-529, اما الطبعة الالمانيّة فطبعت في برلين (Mayer u. Müller, 1902, pp. 24)

وكذلك قد تلطّف المسيو جاكوب واهدانا كتاب قراءة في التركيّة بحروف اوربيّ لطلبة الاجانب (Turkisches Lesebuch, I. Mencke, Erlangen, 1903, pp. 60) وفيه قطع كثيرة مختلفة المواضيع مترقّية الابواب. وكنّا وددنا لو لم يدرج فيها بعض المقاطيع الغزليّة

Etymologie arabo-syriaque, *t. II.* 1904. *pp.* 100

الدوائر: بحث في بقايا اللغة السريانية في اللغة العربية العامّة

بقلم القس يوسف حبيقه ونظر شقيقه الخوري بطرس (المطبعة اللبنانيّة ١٩٠٤ ص ١٠٠)

هذا القسم الثاني من كتاب سبق لنا ذكرهُ (المشرق ٤: ١٢٠ و ٥: ٤٣٠). وهو يدلّ على ما لمؤلفهِ الفاضل من طول الباع في السريانيّة وحسن النظر في خواصّ اللغة العامّيّة وقد ضمّن ملحوظاتهِ في ثلاثة عشر فصلًا قصيرًا. هذا وانّنا مع اقرارنا بكثير من فوائد الكتاب لا يمكنّا ان نسلّم ببعض اشتقاقاتهِ المنسوب اصلها للسريانيّة واصولها عربية محضة وان وُجد شيء من لفظها في السريانيّة مثال ذلك (ص١١) «كشّ الدجاج» و (ص١٤) «بعقة» و (ص ١٦) «الغوغاء» و (ص ١٨) «الدجّال» و (ص٢٥) «طاف» و (ص٢٧) «كبس» الى غير ذلك ممّا يدلّ على توافق اللغات الساميّة في اصولها وليس هو بدليل على اشتقاق لغة من اخرى. وكذلك في فصل الاعلام اسماء ليست سريانيّة بل فينيقيّة قديمة ل. ش.

LEXICON SYROPALÆSTINUM

ed. Frid. Schulthess, *Berlin, Reimer* 1903. XVI-226

معجم اللغة السريانيّة الفلسطينيّة

قد نال الدكتور شولتس من اساتذة غوتنغن شهرة عظيمة بين العلماء بتآليفهِ في اللغات الساميّة نخصّ منها بالذكر كتابهُ النفيس في الاصول المتشابهة في السريانيّة (Homonyme Wurzeln im Syrischen, 1900) يبحث فيه عن المعاني المختلفة التي تُرى في السريانيّة في الاصل الواحد. امّا الكتاب الذي نحن الآن في صددهِ فمدارهُ على معجم اودعهُ المؤلف كلّ الالفاظ الموجودة في التآليف النصرانيّة في اللغة السريانيّة الفلسطينيّة وهو عمل لم يأتهِ احدٌ من قبلهِ بتمامهِ. وان سألت وما هي هذه اللغة السريانيّة الفلسطينيّة اجبتُ انها احد فروع اللغات الآراميّة. وهي كلّها متضمّنة في ترجمات

الكتاب المقدّس وبعض التآليف الموضوعة المنسوبة للرسل وسير القديسين . امّا آداب هذه اللغة فضيّقة النطاق ولم يوجد لها اثرٌ بعد القرن الثالث عشر الّا انّ درسها نافع لادراك لغة السريان في فلسطين ولمقابلة الترجمة السريانيّة البسيطة بما في بقاياها من الروايات المفيدة. ولم يكتفِ الدكتور شولتس بان يطالع كلّ هذه التآليف لنظم مفرداتها بل نقل ايضًا تعابيرها ودوّن خواصّها النحويّة . ومعجمهُ على حقلين يمتاز بحسن ترتيبهِ ووضوحهِ فضلًا عن استيفائهِ للموادّ . وقد صنّفهُ باللغة اللاتينيّة ليقرب منالهُ من كلّ العلماء. فنحضّ كلّ الشرقيين الذين يريدون التعمّق في السريانيّة وفروعها او يُعنون بدرس الترجمة البسيطة ألّا يحرموا مكتبتهم من هذا الكنز الفريد في بابهِ وثمنهُ لا يتجاوز عشرة مركات س . ر

شذرات

مؤتمرات المستشرقين الدولية قد عرف اهل عصرنا انهُ لا بُدَّ من جمع الكلمة والتكاتف لترقية المدنيّة وتقدُّم المعارف. ولذلك ترى الدول والجمعيّات الكبرى تعقد المؤتمرات يجري فيها تبادل الافكار بين رجال السياسة والمشاهير العلماء. ليظهر النور بشحذ القرائح. وهذا ما حمل كبار المستشرقين على ان يجتمعوا كلّ سنتين او ثلاث سنوات ليتداولوا في العلوم الشرقيّة على اختلاف شُعَبها. فيعرض بعضهم على بعض ما توصّلوا اليهِ من الاكتشافات وما يحتاجون فيهِ الى مساعدة رصفائهم وهم يقترحون على بعضهم الابحاث عن المسائل العويصة من لغة وتاريخ واديان وآداب وصنائع الى غير ذلك ممّا يرون فيهِ حاجة ماسّة وخللًا ينبغي سدُّهُ . وتسهيلًا للبحث يقسمون جلساتهم الى خاصّة وعامّة يمهدون بالتصوُّر فيها لمن نال اغليّة الاصوات. وكذلك يجعلون لكل فرع من العلوم الشرقيّة رجالًا ضلعاء ينظرون فيها ويتباحثون بشؤونها ثم يلقون خلاصة ابحاثهم اهل المؤتمر. وكلٌّ هذه المداولات تدوَّن في اعمال المؤتمر التي تُنشَر في مجلّدات ضخمة تُباع على ذمّة الكتبيّين الذين انفقوا المال بسخاء على طبعها. وقد بلغ عدد هذه المؤتمرات الدوليّة الثلاثة عشر اجتمعت في حواضر اوربّة كباريس ولندن وستوكلم وليون وليدن. وكان آخرها سنة ١٩٠٢ في همبورغ. وامّا المؤتمر القادم فيكون في مدينة الجزائر في فسحة عيد الفصح في

اواخر شهر نيسان سنة ١٩٠٥ . فمن اراد من علماء الشرقيين ان يشترك بهذا المؤتمر ليحضر جلساتهِ او يُرسل اليهِ نبذة علمية او غير ذلك فعليهِ بان يكاتب وكيل المؤتمر ومدبّر اشغالهِ اللغويّ الشهير رينه باسه Mr René Basset, 77, rue Michelet, Mustapha (Algérie)

صدى الفؤاد هي قصيدة حسنة ارسلها للمشرق في يوبيل الحبل بلا دنس الاديب بطرس قزح احد طلبة مدرسة مار يوحنا مارون نختار منها هذه الابيات :

فهي آية في الخلق بانت عجيبةً ··· تحيّر ارباب العقول الذكيّةِ
سمت في مزاياها وسادت بفضلها ··· وذا قولها ينبيك عن كل حجةِ
انا المرأة المكتوب عنها بانها ··· تدوس لراس الصلّ في كل جرأةِ
واني التي ما شانها قط ريبةٌ ··· وقد فزت بالتبرير من بدء نشأتي
خليلي بهيٌّ فائق بجمالهِ ··· ولم يرضَ بي لو كنت غيرَ نقيّةِ
لذلك حلّاني بافخر حليةٍ ··· وبرّأني للحال من كل وصمةِ
فمسكُ عفافي عطّر الكونَ نشرهُ ··· وزنبق طهري فاح بين البريةِ
قد اختارني بين الانام خليلةً ··· وعظّم قدري بالصفاتِ الرفيعةِ
وقد حازني في بادئ الامر حيث لا ··· كيانٌ لشيءٍ من جميع الخليقةِ
وقبل وجود الكون كنت انا ··· وليس بذاتي انما رسمُ صورتي
لديَّ السنا والمجد فاسعوا اليهما ··· ومن يبتغي بهيَ حقًا بنعمتي
انا لكمُ سور النجاة من العدى ··· فلوذوا بهِ في وجه كل ملمّةِ
فذكري شهيٌّ للقلوب جميعها ··· وفيهِ يلاقي الكلُّ اعظمَ سلوةِ
انا القمر الوضّاح في ظلم الدجى ··· ابدّد عن ابصاركم كل دجنةِ
انا نجمة البحر التي ضاء نورها ··· لترشد اقواماً سروا وسط لجةِ

ولهُ في الختام : فجودكِ أستجدي وعفوكِ ابتغي ··· وغوثك ارجو في رخاء وشدةِ
سلاماً لجبرائيل اهديك خاشعاً ··· واختم قولي في اداء التحيةِ

اختراع جديد ممّا اختُرع حديثاً في مطابع اميركا آلة طبعيّة للجرائد تطبع على كلّ جريدة عنوان المشترك بها قبل ان تُنتقل الى الآلة الطاوية اما المخترع فاسمهُ بنيفيكوس

اسئلة واجوبة

س سألنا الاديب جمس ايلا : من هي البابة حنة وهل وجودها في عداد البابوات امر صحيح وان كان كاذباً فما البرهان على كذبهِ

البابة حنَّة

ج هذه احدى الخزعبلات التي اشاعها اعداء الكنيسة للتشنيع على احبارها الاعظمين يقولون انَّ بعد وفاة لاون الرابع سنة ٨٥٤ اقيمت على الكرسيّ الرومانيّ امرأة اسمها حنَّة حاولت فأخفت على الكرادلة جنسها فاختاروها كخلفٍ للاون واقامت في الرئاسة سنتين وخمسة اشهر . وهي أُفكوهة لا يُعيرها اليوم بالاً احد من العلماء المتقدين حتَّى منْ البروتستانت وكان ظهور هذه الخرافة لأَوَّل مرَّة في اواسط القرن السادس عشر في تاريخ عمومي باللاتينية ألَّفهُ راهب بندكتي اسمهُ ماريانس سكوتس سنة ١٠٨٣ وطبعهُ جان هيرولد سنة ١٥٥٠ فلما انتشر هذا الكتاب حتَّى شاعت معهُ هذه الخرافة فجعل كلَّ اعداء الكثلكة يعيّرون بها الكنيسة . والصحيح انَّ هذه الاحدوثة ليس لها اصل البتَّة اذ انَّ الكتبة الذين سطَّروا تاريخ البابويَّة في القرن التاسع كانستاس الكتبيّ ولوبوس من فارياد وهنكمار من ريمس وأدون من ڤيَنَّة لم يذكروا شيئاً من ذلك البتَّة . وكلُّهم يجعلون كخلفٍ للاون الرابع بندكتوس الثالث بعد وفاة لاون بشهرين وخمسة أيَّام . وقد وجد سنة ١٨٤٤ الالمانيّ الشهير وَيتس (Waitz) نسخة تاريخ ماريانس سكوتس الاصلية فنشرها في آثار جرمانية (Monumenta Germaniæ) ولا ترى فيها اثرًا لهذه القصَّة المختلقة فظهر لكل العيان كذب الذين دسُّوها في هذا التاريخ زورًا والشرقيين برهان آخر قاطع على صدق قولنا وهو ما ورد في كتاب لفوطيوس البطريرك القسطنطينيّ الشهير عن الروح القدس حيث قال (PP GG. CII. 376) : « وقد عرف معاصرونا ذلك الحبر الجليل لاون الرابع الذي تشهد لهُ الكرامات في حياتهِ عن قداستهِ ثم خلفهُ ملاك اللطف والمحبَّة المدعو بنادكتوس ثمَّ خلفهُ نيقولا . . . . » وقد تبع فوطيوس في قولهِ بقيَّة كتبة اليونان وفي هذا كفاية ولو استزادنا السائل لزدناه

س وسئلنا ما هي اقرب طريقة لقتل النمل

قتل النمل

ج مرَّ لنا الجواب على ذلك في المشرق (٢ : ٢٨٥ و ٣ : ٧١٩) ومن الطرائق السهلة ان تَرشَّ قرية النمل بماء مغليّ مدَّة أيام متوالية فينقطع . ويجوز ايضًا ان يستعمل هيبوسلفيت الصودا بان يُذاب منهُ مئة غرام على كلّ ليترٍ من الماء ويُرشّ النمل بهذا المزيج فيقتلهُ

ل . ش .